الأصول الجامعة لمعتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة

رسالةٌ مختصرةٌ جمعت أصولَ الاعتقادِ الصَّحيحِ في كثيرٍ من أبوابِ العقيدةِ، على منهجِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، بأسلوبٍ ميسَّرٍ لينتفعَ بها عامَّةُ المسلمين، وتكونَ مرجعًا جامعًا بإذنِ الله، وتُرسِّخَ منهجَ السَّلفِ الصَّالحِ في القلوبِ.

تأليف

أبي المنذر عمار بن عبد الجليل بن هزاع الوزيقي الحوباني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين

دار الإمام الشافعي

للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن - عدن

الأُصُولُ الجَامِعَةُ

لِمُعْتَقَدِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ

أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ



الشريف للطباعة

مراجعة تنسيق صف إخراج

+966554298657 - +967779555171

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

دار الإمام الشافعي للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن - عدن

عدن ـ الشيخ عثمان جولة القاهرة ـ خلف فندق الريان

+٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢ – +٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤

عدن ـ الشيخ عثمان جولة القاهرة ـ خلف محطة النهدي

+٩٦٧٧٧٠٠١٢٥٢٢

حضرموت الحامي ـ جوار مسجد أنور ـ الشارع الشرقي من النادي

+٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨ – +٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣

حضرموت سيئون شحوح ـ مقابل مسجد ابراهيم . ومدرسة شحوح للبنين

+٩٦٧٧٨٣٢٤٦٥١٣

alshafibooks@gmail.com

الأُصُولُ الجَامِعَةُ

لِمُعْتَقَدِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ

أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ

رسالة مختصرة جمعت أصول الاعتقاد الصحيح في كثير من أبواب العقيدة على منهج أهل السنة والجماعة بأسلوب ميسر لينتفع بها عامة المسلمين وتكون مرجعا جامعا بإذن الله وترسيخ منهج السلف الصالح في القلوب

تأليف

أَبِي المُنْذِرِ عَمَّارِ بْنِ عَبْدِ الجَلِيلِ الحَوْبَانِي

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله الذي جلّت قدرتُه، وعظُم سلطانُه، وتفرّدَ بالكمالِ جلالُه، لا شريكَ له في مُلكه، ولا ندَّ له في عظمته، خلقَ الخلقَ لعبادته، وأرسل الرسلَ لدعوتِه، وأنزل الكتبَ لتقريرِ توحيده وهدايتِه، نحمدُه سبحانه على آلائه، ونشكرُه على نعمائه، ونستغفره من خطايانا وزلّاتنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تُنجي من عذاب السعير، وتورث صاحبَها جناتٍ تجري من تحتها الأنهار.

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صفوته من خلقه وخليلُه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مصابيحِ الهدى وأنوارِ الدجى، ومن سار على نهجهم واقتفى.

أما بعد:

إن العقيدة هي الأساس الذي يُبنى عليه الدين كلّه، فهي الركيزة الأولى، والقاعدة الكبرى التي تُقام عليها بقية الأعمال، ولذلك كانت أوّل ما دعا إليه الرسل، وأوّل ما يسأل عنه العبد في قبره، وأوّل ما يُحاسب عليه يوم القيامة.

فصلاح القلب متوقف على صحة العقيدة، وصلاح العمل مرتبط بها ارتباطًا وثيقًا، إذ إن الأعمال إن لم تُبن على إيمان صحيح فهي مردودة على صاحبها، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣]. أي: أن أعمال الكافرين والمشركين لا وزن لها يوم القيامة لفساد اعتقادهم.

والعقيدة ليست بابًا نظريًا فحسب، بل هي حياة للقلوب، وميزان للهداية، وسرّ

الثبات عند الفتن والمحن، وهي التي تجعل المسلم يعرف ربه معرفةً صحيحة، فيتوجه إليه بالعبادة والخوف والرجاء والمحبة.

ولأهمية العقيدة بقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يدعو في مكة ثلاثة عشر عامًا يقرر أصول الإيمان والتوحيد قبل أن تُفرض بقية الأحكام، وهذا دليل على أن البناء العقدي أساس كل بناء.

وقد أجمع السلف الصالح أن العلم بالعقيدة هو أشرف العلوم، لأنها متعلقة بأشرف معلوم وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأسماؤه وصفاته وأفعاله، ولأنها تحدد مصير الإنسان سعادةً أو شقاءً.

سبب التأليف وهدفه:

وإني وإن كنت أعلم أن الكتب المؤلَّفة في باب العقيدة قد كثرت، وتنوّعت مصنفات أهل العلم في التوحيد والاعتقاد، حتى لا يكاد طالب العلم يحيط بها إلا أنني رغبت في أن تكون لي مشاركة متواضعة في هذا الميدان المبارك، أرجو بها وجه الله، وأُسجِّل بها اسمي في دعوة التوحيد، فإنها الدعوة التي لا فلاح إلا بها، ولا نجاة إلا لمن تمسك بها.

لقد كانت أمنيتي منذ زمن بعيد أن أكتب في هذا الباب كتابًا ينتفع به العامة، ويكون لي قبله زادًا وذخرًا، أتعلم منه وأزداد به يقينًا، وأضعه بين يدي أولادي في البيت، أدرّسهم منه أصول العقيدة بعبارة مختصرة، وأسلوب واضح قريب، بعيدًا عن التطويل وكثرة النقول، بل هو تلخيص لكلام علمائنا الكبار، نغترف من بحارهم، ونقتبس من أنوارهم، فما نحن إلا عيالٌ عليهم، نلخّص ما فصّلوا، ونقرّب ما بسطوا، والله يعلم صدق النية وما في القلوب.

وقد ترددت غير مرة، وقلت في نفسي: ما عساني أن آتي به من جديد، وقد سبقتني المصنفات الجليلة؟ وتحيرت بين الإقدام والإحجام، ولكن عزمت بعد توكلي على الله أن أكتب هذا المختصر، لعل الله أن ينفع به قارئًا، ويثبّت به قلبًا، ويجعله سببًا في صلاح أولادي وأهلي، ويكتب به لي أجرًا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

تنبيه على منهج التأليف:

وليعلم -القارئ الكريم- أن هذا الكتاب ليس استيعابًا لكل ما ورد تحت أبواب العقيدة، ولا هو حصر لجميع أصول أهل السنة والجماعة، وإنما هو مختصر جمعتُ فيه أهم المسائل التي يقوم عليها الدين ويصح بها الإيمان، وقد أكرر بعض الأدلة في أكثر من موضع للمناسبة والارتباط، ولم أحشُه بالنقول المطوَّلة من كتب الشروح أو التفاسير أو أقوال الأئمة، ولم أنقل التعريفات من كتب اللغة أو المطولات في المصطلحات، بل حاولتُ الاقتصار على العبارات الواضحة المختصرة التي تقرّب المعنى وتوضّح المقصود، وإنما اكتفيت بالاطلاع على كلام أهل العلم ثم صياغته بأسلوبي، راجيًا أن أكون موفقًا في الترتيب والتبويب.

وإني –والله– لا أزعم أن ما بين يديك يغني عن المطولات، أو يحيط بكل ما قرره العلماء، بل هو مشاركة متواضعة، عسى أن ينفع الله بها قارئًا، ويكتبها لي في ميزان الحسنات، فتكون من جملة ما يخدم العقيدة والتوحيد ومنهج أهل السنة والجماعة، وقد أسميته: "**الأصول الجامعة لمعتقد الفرقة الناجية أهل السنة**

والجماعة(١).

وأسميتُه بذلك: لأن ما تضمنه هذا الكتاب يجمع **أصولًا عظيمة جامعة** يتفق عليها أهل السنة والجماعة، وهي قواعد كبرى يلتقي عندها ما تفرع من مسائل العقيدة.

ووصفتها بالـ«جامعة» لأنها تجمع شتات الأبواب في أصول واضحة، وتضم أمهات المسائل التي عليها مدار النجاة.

وربطتُها بـ«الفرقة الناجية»، وهم أهل السنة والجماعة الذين وصفهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ بقوله: «لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»(٢).

فهذا العنوان يُعبّر عن مقصود الكتاب: بيان جملة الأصول الكبرى التي يقوم عليها معتقد أهل السنة والجماعة، وهي السبيل للثبات والنجاة في الدنيا والآخرة، والتمييز بها عن عقائد أهل الأهواء والبدع.

كما أنني أنبه أنني في هذا الكتاب قد حرصتُ على الاقتصار في الاستدلال

---

(١) وقد كنت في حيرة من أمر تسمية هذا الكتاب، إذ ترددت بين عناوين شتى، حتى غلبني النعاس، فرأيت في المنام كأن أحدًا يهمس في أذني بهذا العنوان: الأصول الجامعة لمعتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، ولم يكن هذا العنوان قد جال بخاطري من قبل، فقلت: لعلها رؤيا حق وبشارة، وهو كذلك إن شاء الله تعالى.

(٢) رواه البخاري، برقم: (٧٤٦٠)، ومسلم، برقم: (١٠٣٧).

بالأحاديث على ما جاء في **الصحيحين** أو أحدهما، وما احتجتُ إلى غيرهما، فإني اكتفيتُ بما صحّحه الإمام المحدث **محمد ناصر الدين الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذ هو من أعلام هذا الشأن في عصرنا، والإحالة إليه -لا سيما إذا أراد طالب العلم الاختصار- إحالة على مليء.

وقد اخترت هذا المسلك من باب **الاختصار والتيسير** على القارئ، فلا يتشعب ذهنه بكثرة التخريجات والطرق، وليكون معتمدُه على أصول ثابتة، ومرجعيات علمية موثوقة.

منهج الكتاب وخطته:

وقد جاء هذا الكتاب في **أبواب مرتبة ومباحث واضحة**، جمعت بين الاختصار والبيان، وابتعدت عن الحشو والإطالة، ليكون أقرب للفهم، وأيسر في التدريس والمطالعة.

قسمته إلى **أحد عشر بابًا**، يندرج تحتها عدد من المباحث، وهي:

الباب الأول: المدخل إلى العقيدة.

الباب الثاني: التوحيد.

الباب الثالث: الشرك وأنواعه.

الباب الرابع: الإيمان.

الباب الخامس: الأسماء والصفات.

الباب السادس: القضاء والقدر.

الباب السابع: اليوم الآخر.

الباب الثامن: الرسل والكتب.

الباب التاسع: الموقف من الصحابة والأئمة.

الباب العاشر: شبهات وردود.

الباب الحادي عشر: ثمرات العقيدة.

وقد حرصت أن أذكر في كل مبحث **أدلة من القرآن الكريم** بما تيسر من بعض الآيات، والأحاديث من الصحيحين، وغيرها ثم أُتبع ذلك بالتعليق المختصر، وبعض أقوال السلف، ثم الثمرات، والخلاصة.

مكانة التوحيد في الدين

إن التوحيد هو أصل الأصول، وركن الدين الأعظم، وبه قامت السماوات والأرض، وهو أول ما دعا إليه الأنبياء والرسل، وآخر ما أوصوا به أممهم، به النجاة والفوز، وبدونه الخسران والهلاك، فهو مفتاح الجنة، وسبب العصمة في الدنيا، وحصن الأمان يوم القيامة، ولأجل بيان عظيم منزلته ساق الله في كتابه الكريم آيات بينات، ونطق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بأحاديث واضحات، كلها تدل على أن التوحيد هو القضية الكبرى في هذا الدين.

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩].

فجعل الله العلم بالتوحيد مقدّمًا على سائر الأعمال، إذ لا يقبل عمل إلا بعد تصحيح المعتقد، فهي آية تؤكد أن لا فلاح إلا بتحقيق التوحيد، وأنه أول واجب وآخر وصية.

قال سبحانه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [آل عمران: ١٨].

أشرف شهادة في الوجود، ابتدأها الله بنفسه، ثم الملائكة، ثم العلماء، فالتوحيد هو العدل المطلق والقسط التام، وهو أعظم ما يشهد به الشاهدون.

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء: ٣٦]، آية جامعة، أمرت بالعبادة الخالصة لله، ونهت عن الشرك كله، قليله وكثيره، فهي وصية جامعة لخلاصة الدين كله.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، أعظم وعيد: أن الشرك لا يغفر، لأنه يناقض التوحيد، أما ما دونه فمعلق بمشيئة الله، فهذه آية تبعث على الخوف من الشرك، والرجاء في رحمة الله للمؤمنين.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، حكم قاطع أن الجنة دار الموحدين، وأن الشرك يحرم صاحبه من دخولها ويورده النار.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، آية جمعت حياة المسلم كلها في التوحيد، فلا صلاة ولا نسك ولا حياة ولا موت إلا لله وحده.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، هذا هو أصل كل رسالة: التوحيد، ومن ضيّعه فقد خالف جميع الأنبياء.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، رسالة واحدة متكررة: عبادة الله وحده، والكفر بالطاغوت، وهما جناحا التوحيد.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، فسر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ الظلم بالشرك، فمن نقى إيمانه منه فله الأمن والاهتداء، فالتوحيد سبب الطمأنينة والهداية.

وقال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، لبّ التوحيد وأصله: عبادة الله وحده، والاستعانة به وحده، يكررها المؤمن في كل ركعة.

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]، العبادة لا تنقطع ما دام في العمر بقية، فالتوحيد عبادة مستمرة حتى الموت.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٢٥]، الإسلام الحق هو إخلاص الوجه لله، وهو معنى التوحيد بعينه.

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣]، إعلان وحدانية الإله، ونفي كل شريك، فهي صريح التوحيد بأوضح عبارة.

وقال سبحانه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، بيان أن التوحيد نفي وإثبات: نفي الطاغوت وإثبات عبادة الله وحده.

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج:٣٤-٣٥]، وصف المخبتين المخلصين لله، الذين قلوبهم عامرة بالتوحيد، مطمئنة بذكر الله وحده، وسيأتي معنا مزيد أدلة في المبحث الثاني بإذن الله.



الباب الأول: المدخل إلى العقيدة

العقيدة هي الأساس الذي يُبنى عليه الدين كله، وهي الركيزة الكبرى التي تقوم عليها سائر الأعمال، ومن هنا كان من اللازم أن يُفتتح هذا الكتاب بمدخلٍ يوضح معالمها وأسسها قبل الخوض في تفصيل الأبواب.

ويشتمل هذا الباب على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العقيدة والتوحيد، والفرق بينهما.

المبحث الثاني: مصادر التلقي في العقيدة.

المبحث الثالث: منهج السلف الصالح في الاعتقاد.

المبحث الرابع: التحذير من البدع والانحرافات العقدية.

المبحث الخامس: وسطية أهل السنة في الاعتقاد.

المبحث الأول: تعريف العقيدة والتوحيد والفرق بينهما

العقيدة في لغة العرب: مأخوذة من العقد، وهو الربط والإحكام والشدّ، ومنه عُقْدة الحبل، يقال: اعتقد قلبه على كذا، أي: عقد عليه ولم ينفك عنه.

وفي الاصطلاح الشرعي: هي ما يجزم به القلب ويعقد عليه من الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فهي أصول الدين الكبار، وهي التي يُسمّيها العلماء: مسائل الإيمان، أو أركان الاعتقاد.

وأما **التوحيد**، فهو أخصّ من العقيدة، إذ هو أصلها ولبّها وروحها، ومعناه: إفراد الله تعالى بما يختص به من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات، فهو أن تعتقد أن الله هو الخالق الرازق المدبر، وهو المستحق وحده للعبادة، وهو المتصف بصفات الكمال المنزّه عن النقائص.

فالفرق بينهما: أن العقيدة أوسع وأشمل، والتوحيد جزء منها لكنه أعظم أجزائها وأساسها الذي تُبنى عليه سائر المسائل، فالعقيدة تشمل الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر، بينما التوحيد هو الأصل الأول الذي إذا سقط سقط البناء كله.

ولهذا كان التوحيد أول دعوة الأنبياء والرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فجعل لبّ الرسالة كلها كلمة التوحيد.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ

ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وهذه الآية أصل في معنى التوحيد: نفي الطاغوت وإثبات العبادة لله وحده، وهو أساس العقيدة كلها.

فالتوحيد إذن روح العقيدة، والعقيدة جسد الدين، من أقام التوحيد صحت عقيدته، ومن أضاع التوحيد بطلت عقيدته، ولهذا قال العلماء: "التوحيد أصل الأصول، وبقية مسائل العقيدة فروع وتفصيلات له".

المبحث الثاني: مصادر التلقي في العقيدة

العقيدة الإسلامية لا تؤخذ إلا من مواردها الصافية التي دلّ عليها الشرع، وأجمع عليها أهل السنة والجماعة، وهي ثلاثة:

١- **القرآن الكريم.**

٢- **صحيح السنة النبوية.**

٣- **إجماع السلف الصالح.**

وهذه الأصول الثلاثة هي التي حفظت للأمة صفاء معتقدها، ومن رام الدين من غيرها ضلّ وإن بلغ في العقل والجدل ما بلغ.

أولًا: القرآن الكريم:

القرآن هو المصدر الأول للعقيدة، وهو الذي جمع أصول الإيمان كلها، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل: ٨٩]، دلّت هذه الآية على أن القرآن فيه البيان الكافي لأصول الدين كلها، ومنه تُستمد العقيدة.

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٦٩-٧٠]، فالحياة الحقيقية إنما تكون بالإيمان الذي يُستمد من القرآن.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، بيان أن الهداية الأكمل في العقائد والأعمال لا تكون إلا بالاعتصام بالقرآن.

وقال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]،

أجمع المفسرون: أن حبل الله هو القرآن، فمن تمسك به سلم من الضلال.

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، فهو المهيمن على ما سبقه من كتب، والمرجع الأعلى في الاعتقاد.

ثانيًا: صحيح السنة النبوية:

السنة وحي كالقرآن، وهي المبيِّنة له والشارحة لأدلته، والأمة متفقة على أن العقيدة لا تُفهم إلا بها.

فقد ثبت من حديث المقدام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»(١)، دل على أن السنة وحي يُحتج به كما يُحتج بالقرآن.

وثبت من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (٢٦٦٤)، وأبو داود، برقم: (٤٦٠٤)، وابن ماجه، برقم: (١٢)، وأحمد، برقم: (١٧١٧٤)، وصححه الألباني في تحذير الساجد، برقم: (٥٩)

عَلَيَّ الْحَوْضَ»(١)، فجعل العصمة من الضلال في الجمع بين الأصلين معًا.

وجاء من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ»(٢)، وصية جامعة تبين أن السنة هي الحصن من البدعة والضلال.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، فهذه الآية نص في وجود الأخذ عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الدين كله.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، بيان أن الإيمان لا يتم إلا بالتحاكم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو لا يكون إلا بالعمل بسنته.

---

(١) رواه الحاكم، برقم: (١/ ١٧٢)، والبيهقي، برقم: (٢٠٣٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٣٢٨٢).

(٢) رواه أبو داود، برقم: (٤٦٠٧)، وابن ماجه، برقم: (٤٤)، وأحمد، برقم: (١٧١٤٢)، والترمذي، برقم: (٢٦٧٦)، وصححه الألباني صحيح الجامع، برقم: (٢٥٤٩).

ثالثًا: إجماع السلف الصالح:

إجماع الأمة، ولا سيما الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، هو الأصل الثالث من أصول الاعتقاد وأدلة ذلك كثير منها:

قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ [البقرة: ١٣٧]، فهذه الآية تبين بأن الإيمان بمثل إيمان الصحابة شرط للهداية، وأن الشقاوة في مخالفتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]، نص صريح على حجية سبيل المؤمنين، أي: الصحابة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، إثبات أن رضا الله معقود باتباعهم في الاعتقاد والعمل.

وجاء من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَّ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي - أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ - عَلَى ضَلَالَةٍ»(١)، تأكيد أن اجتماع الأمة في الدين حجة لازمة.

---

(١) رواه ابن ماجه، برقم: (٣٩٥٠)، من حديث أنس، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (١٨٤٨).

جاء من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ»(١)، الناجية هي الجماعة المتمسكة بما أجمع عليه السلف.

الخلاصة: فمصادر العقيدة عند أهل السنة والجماعة ثلاثة: **كتاب الله، وصحيح سنة رسوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، **وإجماع السلف الصالح**، هذه الأصول الثلاثة هي الحصن الحصين من الانحراف، والاعتصام بها هو سبيل النجاة، ومن رام الهدى من غيرها فقد ضل سواء السبيل.

---

(١) رواه ابن ماجه، برقم: (٣٩٩٣)، وأحمد، برقم: (١٢٢٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٢٠٤٢).

المبحث الثالث: منهج السلف الصالح في الاعتقاد

إن من أجلِّ النعم على هذه الأمة أن جعل الله لها سلفًا صالحًا، هم الصحابة الكرام رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، والتابعون لهم بإحسان، ساروا على منهج واضح في الاعتقاد، قائم على الوحيين، بعيدًا عن الأهواء والبدع، ومنهجهم هو الصراط المستقيم الذي أمر الله باتباعه، وحذّر من مخالفته، وفي هذا السياق بين أصول منهجهم باختصار وإيجاز، ومنها ما يلي:

أولًا: صفاء المصدر:

كان السلف يعتمدون في عقيدتهم على **الكتاب والسنة** فقط، فلا يقدمون رأيًا ولا ذوقًا ولا كشفًا على نصوص الوحيين، وكانوا يمتثلون قول الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فالعقيدة عندهم توقيفية لا مجال فيها للابتداع.

قال أبو العالية رَحِمَهُٱللَّهُ: عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا(١).

وقال الأوزاعي رَحِمَهُٱللَّهُ: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم،

---

(١) ذم الكلام وأهله للهروي (٥/ ١١).

وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم(١).

ثانيًا: التسليم والامتثال:

كان السلف يسلمون لما جاء به الوحي تسليمًا كاملًا، بلا معارضة ولا جدال.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ(٢)، دليل على أنهم يقدمون النص على مجرد الرأي والعقل.

ثالثًا: الوقوف عند النصوص:

كان من منهجهم عدم الخوض في الغيب إلا بقدر ما ورد، فلا زيادة ولا نقصان، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا»(٣)، أي: لا يخوضون في دقائق القدر بعقولهم، بل يقتصرون على ما جاء في النصوص.

---

(١) حقيقه السنة والبدعة للسيوطي (ص٧١).

(٢) حقيقه السنة والبدعة للسيوطي (ص٧١).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، برقم: (٥٩٣٠) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٥٤٥).

رابعًا: نبذ البدع والأهواء:

كان السلف يحذرون من البدع في الدين، ويعتبرونها سبب الفرقة والضلال، جاء من حديث العرباض بن سارية رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ»(١).

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ(٢).

وقال رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: الِاقْتِصَادُ فِي السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الِاجْتِهَادِ فِي الْبِدْعَةِ(٣).

وقال أبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فمسته النار أبدًا، وإن

---

(١) رواه أبو داود، برقم: (٤٦٠٧)، وابن ماجه، برقم: (٤٤)، وأحمد، برقم: (١٧١٤٢)، والترمذي، برقم: (٢٦٧٦)، وصححه الألباني صحيح الجامع، برقم: (٢٥٤٩).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٢).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٦١).

اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة([١]).

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن أبغض الأمور إلى الله تعالى البدع، وإن من البدع الاعتكاف في المساجد التي في الدور([٢]).

وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله فلا تتعبدوا بها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالًا؛ فاتقوا الله يا معشر القراء، خذوا طريق من كان قبلكم([٣]).

خامسًا: الاجتماع على الحق:

اتفق السلف على لزوم جماعة المسلمين، ونبذ الفرقة والاختلاف، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»،

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٦٠).

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص: ١٦) .

(٣) حقيقه السنة والبدعة للسيوطي (ص٧١).

قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(١).

الخلاصة: إن منهج السلف الصالح في الاعتقاد يقوم على:

- الاعتماد على الكتاب وصحيح السنة وحدهما.
- التسليم التام للنصوص.
- الوقوف عند الغيب بقدر الوحي.
- الحذر من البدع والأهواء.
- لزوم جماعة المسلمين.

وبهذا المنهج سلموا من الانحراف، وحُفظ لهم صفاء العقيدة، وكانوا هم القدوة لمن بعدهم.

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (٢٦٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٥٣٤٣).

المبحث الرابع: التحذير من البدع والانحرافات العقدية

إن الانحراف عن عقيدة السلف الصالح لم يأت إلا من باب البدع المحدثة، فهي السمّ الذي دسّه الشيطان في دين الناس، ففرّقوا به جماعتهم، وزيّفوا به عقائدهم، ولبّسوا به على عوامهم، ولهذا جاء التحذير في الكتاب والسنة من الابتداع في الدين، وشدّد السلف في النكير على أهله.

أولًا: أدلة القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، هذه الآية أصل في سد باب الزيادة في الدين، فكل ما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا.

وقال سبحانه: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾ [يونس: ٣٢]، فما لم يكن وحيًا منزلًا فهو ضلال، والبدع من أظهر صور الضلال.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠﴾ [الأعراف: ٣٠]، وصف دقيق لأهل البدع، يظنون أنهم على هدى، وهم في الحقيقة أتباع الشيطان.

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾ [البقرة: ٢١١]، التبديل هنا يشمل تبديل الدين بالزيادة أو النقصان.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ [فصلت: ٤٠]،

والإلحاد: الميل بالآيات عن معانيها، وهو من أصول الانحراف العقدي.

ثانيًا: أدلة السنة النبوية:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(١)، يبين أن الافتراق والبدع أمر واقع، وفيه التحذير من سلوك سبيل أهل الأهواء.

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (٢٦٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (١٠٨٣).

تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»(١)، وصف للفتن والبدع التي ستظهر، وأنها تفسد صفاء الخير.

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْض» - أَوْ قَالَ: - «إِنَّ رَبِّي زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَلَا أُهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلَا أُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا» - أَوْ قَالَ: «بِأَقْطَارِهَا» - «حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَحَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٢)، فأخطر ما يهدد العقيدة ظهور قادة البدع الذين يضلون الناس.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَّ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٣٦٠٦)، ومسلم، برقم: (١٨٤٧).

(٢) رواه أحمد، برقم: (٢٢٣٩٥)، وأبو داود، برقم: (٤٢٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (١٥٥١).

وَأَضَلُّوا»(١)، ومن ثمار هذا الجهل انتشار البدع والانحرافات.

وقد تقدّم حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٢)، وهو أصل جامع في التحذير من جميع البدع.

ثالثًا: أقوال السلف:

قال عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة(٣).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُٱللَّهُ: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها(٤).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة(٥).

الخلاصة: البدعة في العقيدة خطرها أعظم من غيرها، لأنها تمس أصل الدين، فهي سبب الفرقة، وباب الضلال، وذريعة إلى الكفر، وقد أجمع السلف على

---

(١) رواه البخاري، برقم: (١٠٠)، ومسلم، برقم: (٢٦٧٣).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٨٦٧).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٠٤).

(٤) ذم الكلام وأهله (٥/ ١٢١).

(٥) أصول السنة لأحمد بن حنبل (ص: ١٤).

إنكارها والتحذير منها، ورأوا أن الخير كله في لزوم السنة والاقتداء بالصحابة والتابعين.

المبحث الخامس: وسطية أهل السنة في الاعتقاد

أولًا: التعريف:

الوسطية في اللغة: ما كان بين طرفين مذمومين.

وأما في العقيدة: فهي لزوم طريق السلف الصالح في الاعتقاد، بين الغلو والجفاء، وبين الإفراط والتفريط، فلا إفراط كغلو الخوارج، ولا تفريط كإرجاء المرجئة، بل منهج وسط عدل.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، هذه الآية أصل في وصف الأمة بالوسطية، وأهل السنة هم أعدل الأمة اعتقادًا.

وقال سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾ [لقمان: ١٥]، اتباع سبيل المنعم عليهم هو الاستقامة على الدين.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود: ١١٢]، الاستقامة على الأمر هي الاعتدال، بلا ميل إلى إفراط ولا إلى تفريط.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا(١)، والمتنطعون هم المتجاوزون للحد، فذم الغلو وأمر بالاقتصاد في الدين.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّهْرِ مِنَ السَّنَةِ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ، وَكَانَ يَقُولُ: «خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَمَلَّ حَتَّى تَمَلُّوا»، وَكَانَ يَقُولُ: «أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، وَإِنْ قَلَّ»(٢)، فالاعتدال في العبادة دليل على الاعتدال في الدين كله.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ»(٣)، فيه النهي عن الغلو الذي يُخرج عن وسطية أهل السنة.

رابعًا: صور وسطية أهل السنة:

هم وسط بين الخوارج والمرجئة في باب الإيمان: قالوا: الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد وينقص.

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٦٧٠).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٦٤٦٤)، ومسلم، برقم: (٢٨١٨).

(٣) رواه أبو داود، برقم: (٤٩٠٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم: (٣١٢٤).

وسط بين **المشبهة والمعطلة** في باب الأسماء والصفات: أثبتوا الصفات بلا تمثيل ولا تعطيل.

وسط بين **الجبرية والقدرية** في باب القدر: قالوا: إن العبد له مشيئة تحت مشيئة الله.

وسط بين **الرافضة والخوارج** في باب الصحابة: أحبّوهم كلهم، وأمسكوا عما شَجَرَ بينهم.

وسط بين **الغلاة والجفاة** في باب العبادة: فلا رهبانية ولا تفريط.

خامسًا: ثمرات الاعتقاد بالوسطية:

- تحقيق كمال الاتباع للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وصحابته.
- سلامة المنهج من الانحراف يمينًا أو يسارًا.
- اجتماع الكلمة ووحدة الصف.
- الثبات على الحق عند الفتن.
- النجاة من الضلال والغلو.

سادسًا: الخلاصة: أهل السنة والجماعة هم الأمة الوسط، كما وصفهم الله تعالى، فهم وسط في جميع أبواب الاعتقاد: في الإيمان، في الأسماء والصفات، في القدر، في الصحابة، في العبادة، ولهذا كانوا هم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.



الباب الثاني: التوحيد

التوحيد هو أعظم أبواب الدين، وهو أصل دعوة الرسل، وأساس النجاة يوم القيامة، ولا تُقبل الأعمال إلا به، ولما كان هذا الباب هو قلب العقيدة، أفرد له العلماء أبوابًا مستقلة وكتبًا مفردة، ومن اللازم بيانه وتوضيح أصوله وصوره.

ويشتمل هذا الباب على أربعة مباحث:

المبحث الأول: معنى التوحيد وأقسامه.

المبحث الثاني: أهمية التوحيد وفضله.

المبحث الثالث: العبادة وحقيقتها.

المبحث الرابع: نواقض التوحيد.

المبحث الخامس: المحبة والخوف والرجاء -وأركان العبادة.

المبحث الأول: معنى التوحيد وأقسامه

إن التوحيد هو أساس الملة، وقطب رحى الدين، وهو أول ما دعا إليه الرسل، وأول واجب على المكلفين، والتوحيد في الاصطلاح هو إفراد الله سبحانه بما يختص به من ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وقد دلّت النصوص المتواترة على وجوبه وأهميته، فقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفي آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فهذه الآيات جامعة بين النفي والإثبات، تبين أن لا إله بحق إلا الله، وأن العبادة كلها له وحده.

وقد جاء في السنة ما يبين معنى التوحيد ويقرره، فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ

النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا»(١)

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى اليَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»(٢).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»(٣)، وهذه الأحاديث الثلاثة أصول في بيان معنى التوحيد، وأنه أول واجب على العباد.

وأقسام التوحيد ثلاثة هي:

١) توحيد الربوبية:

تعريفه: هو إفراد الله بأفعاله: كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير، ومن

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٢٨٥٦)، ومسلم، برقم: (٣٠).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٧٣٧٢)، ومسلم، برقم: (١٩).

(٣) رواه البخاري، برقم: (٢٥)، ومسلم، برقم: (٢٢).

أدلته قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر: ٦٢]، وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ٣١]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ [المؤمنون: ٨٠]، وقوله: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، فكلها تدل على أنه سبحانه المتفرد بالخلق والتدبير.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(١)

وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٨٢٦) ومسلم، برقم: (٢٢٤٦).

ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١)

وعن أبي موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(٢)، فهذه الأحاديث تقرر ربوبية الله المطلقة.

٢) توحيد الألوهية:

تعريفه: هو إفراد الله بأفعال العباد، فلا يُعبد إلا هو، ولا يُدعا سواه، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦١]، وقوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٣٢٠٨)، ومسلم، برقم: (٢٦٤٣).

(٢) رواه مسلم، برقم: (١٧٩).

أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»(١).

وعن طارق بن أشيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»(٢).

وعن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»(٣)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»(٤)

فهذه النصوص كلها تبين أن التوحيد في العبادة هو الغاية التي من أجلها خلق الخلق.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٤٧٧)، ومسلم، برقم: (٨٦).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٣).

(٣) رواه البخاري، برقم: (٤٢٥)، ومسلم، برقم: (٣٣).

(٤) رواه البخاري، برقم: (٩٩).

٣) توحيد الأسماء والصفات:

تعريفه: هو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على الوجه اللائق بجلاله، وأدلته كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤]، وقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ [النحل: ٦٠]، قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾ [الحشر: ٢٢]، قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥]، قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»(١).

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٢٧٣٦)، ومسلم، برقم: (٢٦٧٧).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلاَ يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»(١)

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(٢)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(٣).

فهذه الأحاديث تثبت صفاته كما يليق بجلاله بلا تعطيل ولا تمثيل.

الخلاصة: التوحيد إذاً هو إفراد الله بما يختص به، وينقسم إلى:

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٦٥٣٩)، ومسلم، برقم: (١٠١٦).

(٢) رواه مسلم، برقم: (١٧٩).

(٣) رواه البخاري، برقم: (١١٤٥)، ومسلم، برقم: (٧٥٨).

توحيد الربوبية: وهو إفراده بأفعاله.

توحيد الألوهية: وهو إفراده بالعبادة.

توحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات ما سمى به نفسه أو سماه رسله، أو وصف به نفسه، أو وصفه رسله.

وقد تواترت النصوص من القرآن والسنة على تقريره، حتى بلغ مجموعها مئات الأدلة، وما هذه التي ذكرتها إلا نماذج شاهدة على عظمة هذا الأصل.

المبحث الثاني: أهمية التوحيد وفضله

إن التوحيد هو أصل الأصول، وغايته النجاة من النار ودخول الجنة، وهو سبب الأمن والهداية، وبه قوام الدين، وصلاح الدنيا والآخرة.

أولًا: أدلة القرآن الكريم على أهميته:

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]، جعل الله الإخلاص شرطًا لقبول العمل، فدل على أن التوحيد أساس كل عبادة.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥]، فبيّن أن التمكين في الدنيا ثمرة للتوحيد الخالص.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾ [الأحقاف: ١٣]، فالأمن التام معلق على صدق التوحيد والاستقامة.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]، والظلم هنا هو الشرك، فدل على أن الأمن الكامل والهداية بقدر صفاء التوحيد.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥]، فالإسلام الحق هو إخلاص الوجه لله وحده.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ﴾ [القصص: ٨٨]، ذِكر الهلاك لكل شيء إلا الله يرسخ أن النجاة معلقة بتوحيده.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ﴾ [لقمان: ٢٢]، والعروة الوثقى هي لا إله إلا الله.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، فأمر الله أن يكون كل حياة المسلم قائمة على التوحيد.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]، أعظم فضل للتوحيد أنه سبب المغفرة، وأعظم ذنب يناقضه هو الشرك.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥]، دعاء الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ يدل على أن التوحيد هو سر الأمن، وأن الشرك أخوف ما يخافه الأنبياء.

ثانيًا: أدلة السنة النبوية على أهميته:

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ»(١).

وعن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٢).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»(٣).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ» وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: هَذَا عِنْدَ المَوْتِ، أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٩).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٦).

(٣) رواه البخاري، برقم: (٤٤)، ومسلم، برقم: (١٩٣).

وَنَدِمَ، وَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، غُفِرَ لَهُ(١).

وعن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»(٢).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا رجل عِنْدَ حَضْرَةِ الْمَوْتِ إِلَّا وَجَدَ رُوحهُ لَهَا رَوْحًا حِينَ تَخْرُجُ مِنْ جَسَدِهِ، وَكَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣)

وعن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»(٤).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٥٨٢٧)، ومسلم، برقم: (٩٤).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٤٢٥)، ومسلم، برقم: (٣٣).

(٣) رواه أحمد، برقم: (١٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٢٤٩٢).

(٤) رواه البخاري، برقم: (٦٣٠٦).

اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ للهِ»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: "فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (٣٣٨٣)، وابن ماجه، برقم: (٣٨٠٠)، وصححه الألبان في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٢١)

(٢) رواه الترمذي، برقم: (٢٦٣٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٦١).

الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(١)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»(٢)

وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»(٣)، وأعظم ما يُعتق العبد به نفسه هو التوحيد.

الخلاصة: لقد اجتمعت النصوص من الكتاب والسنة على أن التوحيد هو:

- ✓ شرط قبول العمل.
- ✓ سبب الأمن والهداية.

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (٣٥٨٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٢٦)

(٢) رواه البخاري، برقم: (٩٩).

(٣) رواه مسلم، برقم: (٢٢٣).

- أساس التمكين في الدنيا.
- سبب النجاة من النار ودخول الجنة.
- أعظم الذكر وأثقل شيء في الميزان.

فهو حياة القلوب، وزاد الأرواح، ولا يثبت للعبد عمل إلا به.

المبحث الثالث: العبادة وحقيقتها

العبادة هي الغاية التي خُلق لها الجن والإنس، وهي لبُّ التوحيد وروحه، ومن أجلها أُرسلت الرسل وأنزلت الكتب.

أولًا: أدلة القرآن الكريم:

قد بين الله في القرآن الغاية من خلق الثقلين بأوضح بيان، فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالغاية من الخلق هي عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا أعظم برهان على حقيقتها.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النساء: ٣٦]، فجمع بين الأمر بالعبادة والنهي عن الشرك، ليتحقق التوحيد كاملًا.

وقال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥]، فكما أنه لا يعبد إلا الله فلا يستعان بما لا يقدر عليه إلا الله إلا به.

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]، فأمر بالاستمرار على العبادة إلى الموت، ليبقى العبد ثابتًا على التوحيد.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، فأمر أن تكون الحياة كلها قائمة على إخلاص العبادة لله وحده.

وقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ٨﴾ [المزمل: ٨]، أي انقطع إليه

بكليتك، وهذا هو لب العبادة.

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤]، فأوضح أن الغاية من الصلاة ذكر الله، وهي من أعظم صور العبادة.

وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ [الكوثر: ٢]، فجمع بين الصلاة والنحر، وهما من أجلّ العبادات، وصرفهما لغير الله شرك.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١﴾ [الزمر: ١١]، فالعبادة لا تصح إلا بالإخلاص.

وقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة: ١٠]، فجعل الذكر الكثير عبادةً عظيمة، وهو طريق الفلاح.

ثانيًا: أدلة السنة النبوية:

جاءت السنة شارحة لحقيقة العبادة، فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ**

المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(١)، فالعبادة ينال المرء مرتبة الولاية.

وعن النُّعمان بن بَشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»(٢)، فصلاح القلب بالتوحيد والإخلاص هو حقيقة العبادة.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»(٣)، فالقلب هو محل نظر الرب سبحانه.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٦٥٠٢).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٥٢)، ومسلم، برقم: (١٥٩٩).

(٣) رواه مسلم، برقم: (٢٥٦٤).

يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١)، وهذا يوضح أن العبادة تقوم على المحبة لله ورسوله.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَّ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِّ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللهُّ»(٢)، فالعبادة تشمل ترك المحرمات، لا مجرد أداء الشعائر.

وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»(٣)، تواضع العبد لله من صميم العبادة.

وعن تميمٍ الداري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِّ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»(٤)، فالنصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين من أنواع العبادة.

وعن معاذٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُّ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (١٦)، ومسلم، برقم: (٤٣).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٥٢٢٠)، ومسلم، برقم: (٢٧٦١).

(٣) رواه مسلم، برقم: (٩١).

(٤) رواه مسلم، برقم: (٥٥).

عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللهَّ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ» قَالَ: ثُمَّ تَلَا ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة]، حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٦]، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ»؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهَّ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهَّ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»(١)، فالمحافظة على ضبط اللسان من أعظم ما يحفظ الإيمان.

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»(٢)، فالسجود ذروة العبودية.

الخلاصة: العبادة إذاً هي اسم جامع لكل ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وتشمل:

✓ أعمال القلوب من المحبة والخوف والرجاء.

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (٢٦١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٥١٣٦).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٤٨٢).

- ✓ وأعمال الجوارح من الصلاة والزكاة والذكر.
- ✓ وترك المحرمات والذنوب.

فإذا جُمعت هذه كلها مع الإخلاص لله، تحقق التوحيد على وجهه.

المبحث الرابع: نواقض التوحيد

إن معرفة نواقض التوحيد أمر عظيم، إذ بها يُحفظ أصل الدين، وبها يميّز المسلم بين التوحيد الذي هو حق الله، والشرك الذي يناقضه ويهدمه من أصله، وقد بيّن الله ورسوله هذه النواقض أوضح بيان، رحمةً بعباده، وحجةً عليهم.

أولًا: أدلة القرآن الكريم:

قال تعالى في أعظم آية تهدم الشرك: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢]، بيّن سبحانه أن الشرك الأكبر ناقض للتوحيد، محرِّم للجنة، موجِب للنار.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فهذا النص القاطع يثبت أن الشرك ناقض لا يُغفر أبدًا إن مات العبد عليه.

وقال تعالى مخاطبًا نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٦٥]، إذا كان الشرك محبطًا لعمل أفضل الخلق لو وقع، فكيف بغيره؟

وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾ [الشعراء: ٢١٣]، فدعاء إله غير الله ناقض للتوحيد موجب للعذاب.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، فاتخاذ شفعاء بين العبد

والرب شرك بالله وهو أساس شرك الأمم السابقة كما ذكر الله في الآية.

وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٨]، يقرر أن الاستغاثة بغير الله باطلة، وهو من أعظم النواقض.

وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، وهذا في طاعتهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال شرك أكبر.

وقال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فمحبة غير الله كمحبته سبحانه من النواقض العظيمة.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ [غافر: ٢٢]، فالكفر بالرسل والتكذيب بهم ناقض للتوحيد.

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ ﴾ [الإسراء: ٣٢]، والمعاصي الكبرى كالزنا وشرب الخمر تُنافي كمال التوحيد الواجب.

ثانيًا: أدلة السنة النبوية:

جاءت السنة تؤكد هذا الأصل العظيم، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ

تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»(١)، فهذا أوضح بيان أن أعظم ناقض للتوحيد هو الشرك بالله.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»(٢)، حدّ فاصل بين الجنة والنار هو التوحيد والشرك.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»(٣)، فجعل الشرك في أول الكبائر المهلِكة.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(٤)، والردة ناقض من نواقض الإسلام.

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ،

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٤٧٧)، ومسلم، برقم: (٨٦).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٩٣).

(٣) رواه البخاري، برقم: (٢٧٦٦)، ومسلم، برقم: (٨٩).

(٤) رواه البخاري، برقم: (٣٠١٧).

وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ الْمُنَارَ»(١)، فالذبح لغير الله شرك أكبر.

وعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»(٢)، والحلف بغير الله من الشرك الأصغر.

وعن عقبة بن عامر الجهني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»(٣)، التمائم ناقض من نواقض التوحيد.

عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»(٤)، وإتيان الكهان يناقض كمال التوحيد.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»(٥)، فتصديق

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٧٣٠٠)، مسلم، برقم: (١٩٧٨).

(٢) رواه الترمذي، برقم: (١٥٣٥)، وأبو داود، برقم: (٣٢٥١)، وأحمد، برقم: (٥٣٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣٠).

(٣) رواه أحمد، برقم: (١٦٩٧٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٨٨٩).

(٤) رواه مسلم، برقم: (٢٢٣٠).

(٥) رواه أحمد، برقم: (٩٥٣٦)، والترمذي، برقم: (١٣٥)، وأبو داود، برقم: (٣٩٠٤)، وهو في السلسلة الصحيحة (٧/ ١١٥٥).

الكهان من أعظم النواقض.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي فَيَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا»(١)، كبائر الذنوب تُضعف التوحيد وإن لم تنقض أصله.

الخلاصة: يتضح أن نواقض التوحيد نوعان:

ناقض أكبر: كالشرك بالله، ومنه دعاء غيره، والذبح، والنذر لغيره، وتصديق الكهنة، والردة.

ناقض أصغر: مثل يسير الرياء، والحلف بغير الله، ما لم يعظمه كتعظيم الله.

والمسلم مأمور أن يحذرها أشد الحذر، وأن يسأل الله الثبات حتى يلقاه على التوحيد الخالص.

---

(١) رواه النسائي، برقم: (٥٦٧٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٦٠٧).

المبحث الرابع: المحبة والخوف والرجاء – أركان العبادة

أولًا: التعريف:

المحبة: هي تعلق القلب بالله وتعظيمه، وإيثار رضاه على كل شيء(١).

الخوف: هو رهبة العبد من الله تعالى، وخشيته من عقابه.

الرجاء: هو طمع العبد في رحمة ربه، ومغفرته وإحسانه.

---

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين» (٢/ ٤٩٩ ط عطاءات العلم): ولَمَّا كانت المحبَّة التامَّة ميل القلب بكلِّيَّته إلى المحبوب، كان ذلك الميل حاملًا على طاعته وتعظيمه. وكلَّما كان الميل أقوى كانت الطاعة أتمَّ والتعظيمُ أوفر. وهذا الميل يلازم الإيمان، بل هو روح الإيمان ولبُّه. فأيُّ شيءٍ يكون أعلى من أمرٍ يتضمَّن أن يكون الله سبحانه أحبَّ الأشياء إلى العبد، وأولى الأشياء بالتعظيم، وأحقَّ الأشياء بالطاعة؟. اهـ

قلت: وقد ذكروا تعريفات كثيرة للمحبة أوردها ابن القيم في «طريق الهجرتين وباب السعادتين – ط عطاءات العلم» (٢/ ٦٧٤) ثم قال: وقد قيل فيها حدود أكثر من هذا، وكلّ هذا تعنّ. ولا توصف المحبة ولا تحدّ بحدّ أوضح من المحبة، ولا أقرب إلى الفهم من لفظها. وأمَّا ذكر الحدود والتعريفات، فإنَّما يكون عند حصول الإشكال والاستعجام على الفهم، فإذا زال الإشكال وعُدِمَ الاستعجام فلا حاجة إلى ذكر الحدود والتعريفات، كما قال بعض العارفين: إنَّ كلَّ لفظ يعبر به عن الشيء فلا بدَّ أن يكون ألطفَ وأرقَّ منه. والمحبَّة ألطف وأرقّ من كلِّ ما يعبّر به عنها.اهـ

وهذه الثلاثة هي أركان العبادة القلبية، لا تصح عبادة العبد إلا بها مجتمعة، فهي مثل الطائر: رأسه المحبة، وجناحاه الخوف والرجاء.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، أثبت أن المؤمنين أشد الناس حبًا لله، وهي أعظم عبادة قلبية.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ذكر الرجاء والخوف معًا، دليل على توازن العبودية.

وقال سبحانه: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١﴾ [النحل: ٥١]، إثبات الخوف عبادة لله وحده.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥]، دعاء العبد بخوف ورجاء دليل الإيمان.

وقال تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]، فجمع بين الرجاء في رحمته والخوف من عذابه.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ

يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١)، فيه أن المحبة لله ولرسوله أصل عظيم من أصول الإيمان.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»(٢)، فجمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين الخوف والرجاء في أبلغ بيان.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟»، قَالَ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَرْجُو اللهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»(٣)، هذا الحديث أصل في الجمع بين الخوف والرجاء عند الموت.

رابعًا: ثمرات الجمع بين المحبة والخوف والرجاء:

- تحقيق كمال العبودية لله.
- سلامة القلب من الانحراف إلى الغلو أو الإرجاء.
- دوام الاستقامة في الطاعة.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (١٦)، ومسلم، برقم: (٤٣).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٧٥٥).

(٣) رواه الترمذي، برقم: (٩٨٣) وصححه الألباني في المشكاة، برقم: (١٦١٢).

- الحماية من القنوط واليأس، ومن الأمن المذموم.
- رفعة الإيمان وطمأنينة القلب.

خامسًا: الخلاصة: المحبة والخوف والرجاء هي أركان العبادة القلبية، لا يستقيم قلب العبد إلا بها، فمن عبد الله بالحب وحده كان زنديقًا، ومن عبده بالخوف وحده كان حروريًا([1])، ومن عبده بالرجاء وحده كان مرجئًا، وأهل السنة يجمعون بينها كما أمر الله ورسوله.



---

(١) **الحرورية:** هم الخوارج الأوائل الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعد قضية التحكيم بينه وبين معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سنة ٣٧هـ. سمّوا بذلك لأنهم اجتمعوا أول أمرهم في حروراء –وهي قرية قرب الكوفة – ثم أظهروا بدعتهم من تكفير المسلمين بالكبيرة والخروج على الأئمة بالسيف، فكانوا أصل فرق الخوارج.

إذن باختصار: الحرورية هم أول فرقة من الخوارج، نسبوا إلى حروراء حيث اعتزلوا، وامتازوا بتكفير أهل المعاصي والخروج على الأئمة.

الباب الثالث: الشرك وأنواعه

الشرك أعظم الذنوب عند الله تعالى، وهو ناقض أصل الإيمان، ومحبط للأعمال، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨].

ولما كان خطر الشرك عظيمًا، وجب بيانه وذكر أنواعه وصوره؛ حتى يحذره المسلم، ويُربي أهله وأولاده على اجتنابه.

ويشتمل هذا الباب على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الشرك الأكبر وصوره.

المبحث الثاني: الشرك الأصغر وصوره.

المبحث الثالث: البدع ووسائل الشرك.

المبحث الرابع: الولاء والبراء وعلاقته بالتوحيد.

المبحث الأول: الشرك الأكبر وصوره

الشرك هو أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وهو ضد التوحيد الذي بُعثت به الرسل، وأنزلت به الكتب، وهو صرف شيء من العبادة لغير الله، أو مساواة غير الله بالله في شيء من خصائصه، وقد تضافرت نصوص الوحيين في بيان خطورته وأنواعه، رحمةً بالعباد وحمايةً لجانب التوحيد.

أولًا: أدلة القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: ٧٢]، نصٌّ صريح أن الشرك الأكبر يوجب الخلود في النار.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] أي: لا يغفر لمن مات مشركًا شركًا أكبر.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣]، سماه ظلمًا عظيمًا لأنه تسوية المخلوق بالخالق.

وقال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ [يونس: ١٨]، فعبادة الأصنام والأولياء من الشرك الأكبر.

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾ [الزمر: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٨﴾ [الملك: ٢٨]، الاستغاثة بغير الله شرك يجرّ إلى الهلاك.

ثانيًا: أدلة السنة النبوية:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»(١)، فهذا نص في أن الشرك الأكبر أعظم الذنوب.

وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»(٢)، وهذا نتيجة حتمية تفرق بين الموحد والمشرك.

وعن طارق بن أشيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»(٣)، فلا يكفي مجرد النطق، بل لا بد من البراءة من الشرك وأهله.

وعن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٤٧٧)، ومسلم، برقم: (٨٦).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٩٣).

(٣) رواه مسلم، برقم: (٢٣).

لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ»(١)، فالذبح لغير الله من أعظم صور الشرك الأكبر.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» (٢) فالله لا يقبل عملًا خالطه شرك.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٧٣٠٠)، مسلم، برقم: (١٩٧٨).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٩٨٥).

المبحث الثاني: الشرك الأصغر وصوره

أولًا: أدلة القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، يدخل فيه يسير الرياء، وهو من الشرك الأصغر.

ثانيًا: أدلة السنة النبوية:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»(١)، فالحلف بغير الله شرك أصغر، ما لم يعظم المحلوف به كتعظيم الله أو أكثر.

وعن عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»(٢)، والتميمة: ما يُعلّق على الصبيان أو الكبار من خرز أو خيوط أو عظام أو كتابات، يُظنّ أنها تدفع البلاء أو تجلب النفع، والأصل فيها أنها من **عادات الجاهلية** التي أبطلها الإسلام، **فإن اعتقد صاحبها أنها مؤثرة بذاتها** من دون الله، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة، **وإن اعتقد أنها سبب فقط** وأن

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (١٥٣٥)، وأبو داود، برقم: (٣٢٥١)، وأحمد، برقم: (٥٣٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣٠).

(٢) رواه أحمد، برقم: (١٦٩٧٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٨٨٩).

النفع والضر بيد الله، فهذا شرك أصغر، لأنه إثبات سبب لم يجعله الله سببًا، فينافي كمال التوحيد.

وعن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»(١)، النهي عن ألفاظ فيها شرك أصغر.

الخلاصة: الشرك نوعان:

الشرك الأكبر: كدعاء غير الله، والذبح له، والاستغاثة به، وهو ناقض للتوحيد مخرج من الإسلام.

الشرك الأصغر: كيسير الرياء، والحلف بغير الله، وتعليق التمائم، وهو لا يُخرج من الإسلام لكنه وسيلة إلى الأكبر.

ولهذا كان أعظم ما يُخاف على العبد: أن ينقض توحيده بالشرك، صغيرًا كان أو كبيرًا.

---

(١) رواه أبو داود، برقم: (٤٩٨٠)، أحمد، برقم: (٩١٤٩)، وابن ماجه، برقم: (٢١١٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٦٣).

المبحث الثالث: البدع ووسائل الشرك

البدعة في الدين هي كل ما أُحدِث في العبادات مما ليس عليه أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ولا أصحابه، وهي من أعظم وسائل الشرك، إذ إن الشرك الأكبر ما وقع في الأمم السابقة إلا بعدما استُحدثت البدع وغُلِّي في الصالحين حتى عُبدوا من دون الله.

أولًا: أدلة القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، فكل عبادة لم يأذن بها الله فهي بدعة وضلالة، وهي وسيلة إلى الشرك.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣]، فأمر الله بالاكتفاء بالوحي، فدلّ على أن البدع اتباع للأهواء.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، التزام الوحي ونبذ المحدثات هو صيانة للتوحيد.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، والبدع من السبل التي تصد عن سبيل الله.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: ٦٢]، والبدع في الغلو بالصالحين تؤدي إلى اتخاذهم شركاء من دون الله.

ثانيًا: أدلة السنة النبوية:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» (١)، فهذا أصل جامع في ردّ كل بدعة.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول في خطبته: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٢)، وهذا نصّ صريح يبين خطورة المحدثات.

وعن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ»(٣)، فيه وجوب التمسك بالسنّة والتحذير من البدع.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم، برقم: (١٧١٨).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٨٦٧).

(٣) رواه أبو داود، برقم: (٤٦٠٧)، وابن ماجه، برقم: (٤٤)، وأحمد، برقم: (١٧١٤٢)، والترمذي، برقم: (٢٦٧٦)، وصححه الألباني صحيح الجامع، برقم: (٢٥٤٩).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهَّ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهَّ سَيِّئٌ»(١)، دلّ على أن الخير كل الخير في اتباعهم، والشر في مخالفتهم بالبدع.

❖ صور من البدع التي تفضي إلى الشرك:

✓ **الغلو في الصالحين**: كما حصل لقوم نوح، إذ عكفوا على قبور ودٍّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فكان أول الشرك.

✓ **الذبح والنذر عند القبور**: وهو من البدع التي تنقلب إلى شرك.

✓ **الطواف بالقبور أو الاستغاثة بأهلها**: الطواف بالقبور وسيلة عظيمة إلى الشرك الأكبر، وقد يكون شركًا في نفسه إذا قُصد به التعبد للمقبور، وأما الاستغاثة بأهل القبور وطلب قضاء الحاجات منهم فهي شرك أكبر صريح يناقض التوحيد.

✓ **الاحتفال بالمواسم البدعية**: كالتي لم ترد في الشرع، فتكون وسيلة للشرك والغلو.

الخلاصة: البدعة بريد الشرك، ووسيلة من وسائله الكبرى، وهي من أخطر ما يهدد التوحيد، وقد سد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كل سبيل يوصل إليها، فأمر

---

(١) رواه أحمد، برقم: (٣٦٠٠) وحسنه الإمام الوادعي في الصحيح المسند (١/ ٦٤٩).

بالاتباع ونهى عن الابتداع، وجعل كل محدثة ضلالة، فمن أراد سلامة التوحيد فليقتصر على ما شرع الله ورسوله، وليحذر المحدثات صغيرها وكبيرها.

المبحث الرابع: الولاء والبراء وعلاقته بالتوحيد

الولاء والبراء أصل عظيم من أصول الدين، لا يكتمل توحيد العبد إلا به، إذ الولاء هو المحبة والنصرة لأهل الإيمان، والبراء هو البغض والمعاداة لأهل الكفر والشرك، وهما ركنان متلازمان: من أحبّ الله ورسوله والمؤمنين فقد وحّد، ومن والى الكفار وأحبهم لدينهم فقد نقض توحيده.

أولًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وفي هذا بيّن أن حقيقة الإيمان لا تجتمع مع مودة أعداء الله.

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، ففي هذا تحريم الموالاة للكفار، وأنها ناقضة للتوحيد إن كانت محبة لدينهم.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ [الممتحنة: ٤]، فإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قدوة في البراءة من الكفار وآلهتهم.

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، فهذا فيه تحذير للمؤمنين من محبة أعداء الله سرًا أو جهرًا.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥]، الولاية الشرعية لا تكون إلا لله ورسوله والمؤمنين.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣]، إذا لم يتحقق الولاء بين المؤمنين وقع الفساد العظيم.

ثانيًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي أمامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»(١)، يبين أن الولاء والبراء من كمال التوحيد والإيمان.

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ بهنَّ»(٢)، دل هذا على أن محبة الله ورسوله والمؤمنين من أعظم أصول الولاء.

---

(١) رواه أبو داود، برقم: (٤٦٨١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٦٥).

(٢) رواه البخاري، برقم: (١٦)، ومسلم، برقم: (٤٣).

وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟»، قَالُوا: الصَّلَاةُ، قَالَ: «حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟» قَالُوا: الزَّكَاةُ، قَالَ: «حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟» قَالُوا: صِيَامُ رَمَضَانَ. قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟» قَالُوا: الْحَجُّ، قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟» قَالُوا: الْجِهَادُ، قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟» قَالَ: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»(١)، فهذا يبين أن الولاء والبراء أمتن رابط يجمع المؤمنين، ويحقق كمال التوحيد.

❖ صور الولاء المشروع والبراء الواجب:

- ✓ **موالاة المؤمنين**: بالمحبة والنصرة والذب عنهم.
- ✓ **البراءة من الكفار**: ببغضهم وعدم نصرتهم أو التشبه بهم.
- ✓ **الاقتداء بالأنبياء والصالحين**: كما فعل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- ✓ **الاعتزال القلبي والعملي للبدع وأهلها**: حفاظًا على نقاء التوحيد.

الخلاصة: الولاء والبراء من تمام التوحيد، ولا يكمل إيمان العبد إلا بهما، فمن أحب الله ورسوله والمؤمنين فقد وحّد، ومن أحب الكفار لدينهم أو نصرهم على المؤمنين فقد نقض توحيده، فهما ميزان الإيمان، ودليل صدق العقيدة.

---

(١) رواه أحمد، برقم: (٢١٥٤٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٦٥).

الباب الرابع: الإيمان

الإيمان أصل الدين، وهو الركن الأعظم بعد التوحيد، ولا يُقبل عمل إلا به، وقد كثرت فيه أقوال الفرق، فبين من غلوا فأخرجوا العمل كله من مسمى الإيمان، وبين من جفوا فكفّروا بالكبائر، فجاء أهل السنة والجماعة بالقول الوسط الموافق للكتاب والسنة، وهو أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ويشتمل هذا الباب على خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإيمان عند أهل السنة.

المبحث الثاني: أركان الإيمان الستة.

المبحث الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الرابع: الإيمان والعمل.

المبحث الخامس: موقف أهل السنة من مرتكب الكبيرة.

المبحث الأول: تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة

الإيمان في اللغة: الإقرار بالشيء عن تصديق به، بدليل أنك تقول: آمنت بكذا وأقررت بكذا، وصدقت فلانًا، ولا تقول: آمنت فلانًا.

إذًا: فالإيمان يتضمن معنى زائدًا على مجرد التصديق، وهو الإقرار والاعتراف المستلزم للقبول للأخبار والإذعان للأحكام، هذا الإيمان.

وشرعا: هو قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهذا ما اصطلح عليه علماء السلف سابقهم ولاحقهم، وهذا هو التعريف الجامع الذي دلّت عليه النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة.

أولًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]، دلت على أن الإيمان عمل قلبي يتأثر بالذكر والقرآن.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، سمّى الصلاة إيمانًا، فدلّ على أن الأعمال من حقيقة الإيمان.

وقال سبحانه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨]، الإيمان يشمل التصديق بالرسول والقرآن، فهو اعتقاد وعمل.

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥]، الجمع بين التصديق والجهاد والعمل يوضح شمول الإيمان.

ثانيًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»(١)، الحديث نص في أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وله مراتب.

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في حديث جبريل المشهور: أنه سأل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عن الإيمان، فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(٢)، هذا أصل جامع يبيّن أن الإيمان اعتقاد شامل بكل ما جاء به الشرع.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ**

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٩)، ومسلم، برقم: (٣٥).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٨).

السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(١)، فالمعاصي تُضعف الإيمان وتنقصه، مما يدل على أنه يزيد وينقص.

الخلاصة: إذًا: يتبين أن تعريف الإيمان عند أهل السنة هو:

قول باللسان: كالنطق بالشهادتين.

واعتقاد بالجَنان: تصديق القلب وإقراره.

وعمل بالجوارح: كالصلاة والزكاة وسائر الطاعات.

وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، بخلاف المرجئة(٢) الذين جعلوه مجرد تصديق، أو الخوارج(٣) الذين جعلوه كفروا من ترك بعض أجزائه.

فأهل السنة وسط بين الفرق، مستمسكون بنصوص الوحيين، ومنهج السلف الصالح.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٥٥٧٨)، ومسلم، برقم: (٥٧).

(٢) انظر التعريف بهم في الباب الحادي عشر.

(٣) انظر التعريف بهم في الباب الحادي عشر.

المبحث الثاني: أركان الإيمان الستة

الإيمان عند أهل السنة يقوم على ستة أركان عظيمة، من جحد واحدًا منها فقد كفر، وهي المذكورة في حديث جبريل المشهور.

أولًا: التعريف:

الإيمان بالله: توحيده ربًّا وإلهًا وأسماءً وصفات.

الإيمان بالملائكة: الإقرار بوجودهم، وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم(١).

---

(١) والملائكة أعداد لا يعلم بهم إلا الله تعالى كما قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وجاء عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ» رواه الترمذي، برقم: (٢٣١٢)، وحسنه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٢٠).

والإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلًا ونهارًا بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة ومنهم:

مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى يرسله الله بالوحي إلى الأنبياء والرسل.

مثل: ميكائيل الموكل بالقطر، أي: المطر والنبات.

الإيمان بالكتب(١): التصديق بأنها وحي من عند الله، وخاتمتها القرآن الكريم.

الإيمان بالرسل(٢): الإقرار بأنهم مبعوثون بالحق، وخاتمهم محمد

=

ومثل: إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.

ومثل: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

ومثل: مالك الموكل بالنار وهو خازن النار.

ومثل: الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث الله إليه ملكًا وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.

ومثل: الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها لكل شخص، ملكان: أحدهما عن اليمين، والثاني عن الشمال.

ومثل: الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه

(١) أنزل الله على نبينا جبريل الأمين بالقرآن المبين كما أنزل التوراة على موسى وأنزل الإنجيل على عيسى وأنزل الزبور على داوود وأنزل صحفا على غيرهم من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين فقال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

(٢) فالواجب أن يؤمن العبد بكل نبي وبكل رسول أرسله الله فمن سماه الله لنا منهم آمنا به بعينه ومن لم يسمه آمنا به عموما، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ﴾ [غافر: ٧٨] فالذين قص الله علينا محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وهارون وزكريا ويحيي وعيسى وإلياس وإسماعيل

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الإيمان باليوم الآخر: بما فيه من بعث، وحساب، وجنة ونار.

الإيمان بالقدر: خيره وشره، حلوه ومره من الله.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، جمعت الآية خمسة أركان، وزادتها السنة توضيحًا بركن القدر.

وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فإيمان المؤمنين لا يصح إلا بمجموع هذه الأركان.

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]، فمن أنكر ركنًا واحدًا فقد ضل ضلالًا بعيدًا.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث جبريل المشهور قال: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ

= واليسع ويونس ولوط وهود وصالح وشعيب وإدريس وإسحق ويعقوب.اهـ من «الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين» (١/ ٩٢)

خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١)، فهذا الحديث أصل في بيان الأركان الستة.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ»(٢)، وهذا نصّ آخر يعضد حديث جبريل.

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِي بِالحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ، وَبِالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالقَدَرِ»(٣)، فجمع أهم الأركان مع التوكيد على القدر.

الخلاصة:

الإيمان بالله: الاعتقاد الجازم بوجوده، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

الإيمان بالملائكة: التصديق بوجودهم، وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله.

الإيمان بالكتب: الإيمان بما أنزل الله من كتب سماوية، وخاتمتها القرآن.

الإيمان بالرسل: التصديق بمن أرسلهم الله لهداية البشر، وخاتمهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٨).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٤٧٧٧)، ومسلم، برقم: (٩).

(٣) رواه الترمذي، برقم: (٢١٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢٥٨).

الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالموت، والبعث، والحساب، والجنة والنار.

الإيمان بالقدر خيره وشره: الإيمان أن كل ما يجري بقدر الله وعلمه ومشيئته.

هذه الأركان الستة هي أساس العقيدة الإسلامية، لا يصح إيمان عبد إلا بها جميعًا، فهي كالبنيان، إذا سقط منها ركن انهار البنيان كله، وقد أجمع عليها المسلمون، وهي الفارق بين أهل السنة وغيرهم من أهل الانحراف والضلال.

المبحث الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه

الإيمان عند أهل السنة والجماعة يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فهو ليس شيئًا جامدًا ثابتًا كما تزعم المرجئة، والمعتزلة، ولا يزول كله بالمعصية كما تقول الخوارج، بل هو شعب ودرجات، أعلاها كلمة التوحيد، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة منه.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤]، وهذا نص صريح في أن الإيمان يزداد ويدل بفحواه على أنه كان قبل ذلك في نقصان؛ لأن الزيادة لا تحصل إلا لما كان ناقصًا.

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ [الفتح: ٤]، وهذا دليل آخر على الزيادة والنقصان كسابقه.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، تكرار النصوص على الزيادة دليل على أصلها.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، مواقف الابتلاء تقوّي الإيمان.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢]، طاعة

الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ تزيد المؤمنين ثباتًا.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»(١)، الحديث أصل في إثبات أن الإيمان شعب متفرقة، يزداد بعضها فوق بعض.

وعن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(٢)، وهذا الحديث يدل على أن الإيمان يتفاوت، وأن الناس فيه بين ضعيف وقوي.

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»(٣)، وتفاوت مراتب الخير دليل على تفاوت الإيمان قوةً

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٩)، ومسلم، برقم: (٣٥).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٥٢).

(٣) رواه البخاري، برقم: (٧٥٦٣)، ومسلم، برقم: (١٩٣).

وضعفًا.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(١)، فارتكاب المعاصي ينقص الإيمان.

رابعًا: الخلاصة: الإيمان عند أهل السنة يتفاضل:

يزداد بالطاعات: كالصلاة، والصيام، والجهاد، والذكر.

ينقص بالمعاصي: كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر.

فهو كالنور يسطع ويخبو، وكالشجرة تنمو وتذبل، ومن هنا وجب على العبد أن يجاهد نفسه في زيادة إيمانه، ويحذر من كل ما ينقصه.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٥٥٧٨)، ومسلم، برقم: (٥٧).

المبحث الرابع: الإيمان والعمل

العمل عند أهل السنة والجماعة جزء من الإيمان فلا ينفصل عنه، بل هو قول وعمل، فلا يكفي مجرد التصديق بالقلب دون الطاعة بالجوارح، فالعمل جزء لا يتجزأ من حقيقة الإيمان، ولا يصح الإيمان مع ترك جنس العمل، ولهذا قرن الله بين الإيمان والعمل الصالح في كتابه في مواضع كثيرة.

أولًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهذا نص في أن الصلاة من الإيمان والصلاة عمل وهي المرادة هنا بإجماع العلماء.

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]، فقرن بين الإيمان والعمل الصالح في الوعد بالجنة، وعطف العمل على الإيمان لزيادة الاختصاص والتنبيه عليه وهو من باب ذكر الخاص بعد العام.

وقال سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣]، سورة عظيمة تدل على أن النجاة متوقفة على الإيمان والعمل.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧﴾ [الكهف: ١٠٧]، لا ينال الفردوس إلا من جمع الإيمان بالعمل.

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، لا يقبل الرجاء إلا إذا اقترن بالعمل الخالص لله.

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، ربط الحياة الطيبة باجتماع الإيمان والعمل.

ثانيًا: أدلة السنة النبوية:

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟ - أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ -» قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ»(١)، ففي هذا الحديث سمى رسول الله الصلاة، والزكاة، والصيام، وإعطاء الخمس من المغنم إيمانًا، وهي أعمال، فدل على أن العمل من الإيمان.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٥٣)، مسلم، برقم: (١٧).

بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»(١)، وفي هذا الحديث ذكر عمل الجوارح وهو إماطة الأذى عن الطريق، وذكر عمل القلب وهو الحياء.

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»(٢)، وهذا نص في أن النظافة شطر الإيمان أي: نصفه، وهي عمل، فدل على دخول العمل في مسمى الإيمان.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»(٣)، فدل على أن كمال الإيمان يظهر في العمل وترك المعاصي.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(٤)، فربط كمال الإيمان بالعمل الصالح والأخلاق.

---

(١) رواه والبخاري، برقم: (٩)، مسلم، برقم: (٣٥).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٢٣).

(٣) رواه البخاري، برقم: (١٠)، ومسلم، برقم: (٤٠).

(٤) رواه البخاري، برقم: (٦١٣٦)، ومسلم، برقم: (٤٧).

ثالثًا: أقوال السلف:

قال عَبْدُ الرَّزَّاقِ الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَابْنَ جُرَيْجٍ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَمَعْمَرَ بْنَ رَاشِدٍ، وَسُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ(١).

قَالَ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكَانَ الْإِجْمَاعُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِمَّنْ أَدْرَكْنَاهُمْ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، لَا يُجْزِئُ وَاحِدٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ بِالْآخَرِ(٢).

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَجْمَعَ أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ وَالْإِيمَانُ عِنْدَهُمْ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ وَالطَّاعَاتُ كُلُّهَا عِنْدَهُمْ إِيمَانٌ(٣).

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الشيخ الحسين بن مسعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتفقت الصحابة والتابعون، فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، إلى

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ١٠٢٨).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٥٧).

(٣) التمهيد (٩/ ٢٣٨).

قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال: ٢ - ٣]، فجعل الأعمال كلها إيمانا، وكما نطق به حديث أبي هريرة، وقالوا: إن الإيمان قول، وعمل، وعقيدة، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية على ما نطق به القرآن في الزيادة، وجاء في الحديث بالنقصان في وصف النساء([١]).

رابعًا: الخلاصة: الإيمان والعمل متلازمان، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، ومن زعم أن الإيمان مجرد التصديق بلا عمل فقد خالف نصوص الوحيين ومنهج السلف، فأهل السنة يقررون أن العمل من حقيقة الإيمان، وأنه شرط في صحته وكماله، يزيده ويقويه، كما أن ترك العمل يضعفه ويهدمه بحسب حاله.

---

(١) شرح السنة (١/ ٣٨).

المبحث الخامس: موقف أهل السنة من مرتكب الكبيرة

أولًا: التعريف:

مرتكب الكبيرة: هو المسلم الذي يقع في ذنب من كبائر الذنوب، كقتل النفس بغير حق، أو الزنا، أو شرب الخمر، أو عقوق الوالدين، وهو لا يستحل ذلك ولا يجحد ما جاء به الشرع.

وموقف أهل السنة والجماعة: أنه **مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته**، لم يخرج من الإسلام، ولم يُعط الإيمان المطلق، بل هو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، ولا يُخلَّد في النار إذا مات على التوحيد.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فصرّح أن المغفرة ممكنة لكل ذنب دون الشرك، فهو تحت المشيئة.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: ٩]، فسمّى المقتتلين مؤمنين مع وقوعهم في كبيرة القتال.

وقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [مريم: ٦٠]، إثبات التوبة حتى من كبائر الذنوب.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، بيّن أن الكبائر لا

تخرج من الإسلام، وأن التوبة تجبّ ما قبلها.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧-٨]، دليل أن المؤمن يحاسب على ذنوبه لكنه لا يُخلد في النار.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»(١)، دل على أن تارك بعض الفرائض غير مستحل لها تحت مشيئة الله.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(٢)، نقص إيمان العاصي عند وقوع المعصية، ولم ينفِ عنه أصل الإيمان.

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) رواه النسائي، برقم: (٤٦١)، أبو داود، برقم: (٤٢٥)، وابن ماجه، برقم: (١٤٠١)، وأحمد، برقم: (٢٢٦٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٣٢٤٣).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٥٥٧٨)، ومسلم، برقم: (٥٧).

«مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»(١)، فأثبت دخول الجنة حتى مع وجود الذنوب.

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ» وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: هَذَا عِنْدَ المَوْتِ، أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، غُفِرَ لَهُ(٢)، أصل الإيمان يحفظ صاحبه من الخلود في النار.

رابعًا: ثمرات هذا الاعتقاد:

- يبين عدل أهل السنة بين الخوارج والمرجئة.
- يحقق أمن العبد من اليأس من رحمة الله.
- يردّ على المرجئة الذين يسقطون العمل من مسمى الإيمان.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٣٤٣٥)، ومسلم، برقم: (٢٨).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٥٨٢٧)، ومسلم، برقم: (٩٤).

- يردّ على الخوارج الذين يكفّرون بالمعصية.
- يثبت أن العصاة من المسلمين إخوة لنا، نحبهم بقدر ما فيهم من إيمان ونبغض معصيتهم.

خامسًا: الخلاصة: مذهب أهل السنة والجماعة أن مرتكب الكبيرة لا يكفر، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، فاسق بكبيرته، تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، ولا يخلد في النار إذا مات على التوحيد، وبهذا توسطوا بين المرجئة والخوارج.

المبحث السادس: ولا نشهد لأحد بجنة ولا نار

أولا: التعريف:

المراد بهذا أن أهل السنة والجماعة لا يشهدون لمعيَّن من المسلمين بالجنة أو النار إلا بدليلٍ من نصوص الوحي.

وهذا باب عظيم من أبواب الاعتقاد، يُظهر العدل والتوسط، بخلاف أهل الغلو الذين يقطعون بالجنة لمن أحبّوهم ولو بغير دليل، أو يكفرون ويشهدون بالنار لمن خالفهم بلا برهان.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم: ٣٢].

وجه الدلالة: النهي عن التزكية المطلقة للأشخاص، فلا يُشهد لمعيَّن بالجنة أو النار.

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩﴾ [النساء: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم: ٣٢].

وجه الدلالة: النهي عن التزكية المطلقة للأشخاص، فلا يُشهد لمعيَّن بالجنة أو النار.

وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا

﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩﴾ [الأحقاف: ٩].

وجه الدلالة: إقرار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه لا يعلم ما يفعل به ولا بغيره إلا ما أوحى الله، فكيف يُشهد بعض الناس لغيرهم بمصير أخروي لم يرد به نص.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عَنْ أُمِّ العَلاَءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِمْ، بَايَعَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: طَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي السُّكْنَى، حِينَ اقْتَرَعَتْ الأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى المُهَاجِرِينَ، فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ، قَالَ: «وَمَا يُدْرِيكِ» قُلْتُ: لاَ أَدْرِي وَاللهِ، قَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِينُ، إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ مِنَ اللهِ، وَاللهِ مَا أَدْرِي – وَأَنَا رَسُولُ اللهِ – مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ» قَالَتْ أُمُّ العَلاَءِ: فَوَاللهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ، قَالَتْ: وَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النَّوْمِ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «ذَاكِ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ»(١).

وجه الدلالة :النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يشهد لمعيّن إلا بما جاء به الوحي، مع أنه يرجو الخير للصالحين.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٧٠١٨).

إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله طُوبَى لِهَذَا، عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ، يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»(١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، قَالَ عُمَرُ: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقُلْتَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ»(٢).

وجه الدلالة: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أقرهم على شهادتهم، مع أن بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مواطن يشهدون لمعين بالجنة ويخالفهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كما في مواطن كثيرة، كصاحب الشملة وغيره.

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٦٦٢).

(٢) رواه البخاري، برقم: (١٣٦٧)، ومسلم، برقم: (٩٤٩).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»(١).

وجه الدلالة: لا يُشهد بالنار على مخلَّد إلا من قامت الأدلة عليه بالكفر الأكبر، أما العصاة فلهم المشيئة.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»(٢).

وجه الدلالة: الشهادة بالجنة خاصة بمن نصّ الوحي على تبشيرهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَهْدَى رِفَاعَةُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غُلَامًا، فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ إِلَى خَيْبَرَ، فَأَتَى الْغُلَامَ سَهْمٌ غَرْبٌ فَقَتَلَهُ، فَقُلْنَا: هَنِيئًا لَهُ الْجَنَّةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، الشَّمْلَةُ لَتَحْتَرِقُ عَلَيْهِ الْآنَ فِي النَّارِ غَلَّهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ خَيْبَرَ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٤).

(٢) رواه أحمد، برقم: (١٦٧٥)، والترمذي، برقم: (٣٧٤٧).

اللهَّ أَصَبْتُ يَوْمَئِذٍ شِرَاكَيْنِ، قَالَ: «يُعَدَّدُ لَكَ مِثْلُهُمَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ»(١).

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ: «كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا - أَوْ عَبَاءَةٍ-» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ»، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ(٢)

قال الطحاوي رَحِمَهُٱللَّهُ في «متن العقيدة الطحاوية - شرح وتعليق الألباني» (ص٦١): وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ وَلَا نشهد لهم بالجنة

الخلاصة: الأصل: أمر الخلق إلى الله، لا يُقطع لمعيّن بمصير إلا بدليل، إلا من جاء به نص بأنه من أهل الجنة كالعشرة المبشرين، أو بالنار كأبي لهب، ولكن نرجو للصالحين ونخاف على المسيئين، ونكل أمرهم إلى الله.

تنبيه: اشتهر على ألسنة كثير من المسلمين ـ في الإعلام وغيره ـ إطلاق لفظ الشهيد على كل من قُتل، سواء في المعارك مع الكفار أو في غيرها، وهذا خطأ

---

(١) رواه ابن حبان (١١/ ١٩٠).

(٢) رواه مسلم، برقم: (١١٤).

مخالف لعقيدة أهل السنة، إذ الشهادة بالجنة أو بالنار حقٌّ لله ورسوله، فلا يجوز الجزم لشخص بعينه، قال البخاري في صحيحه: بَاب لَا يَقُولُ فُلَانٌ شَهِيدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ».

وجاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: وَأُخْرَى فَتَقُولُونَهَا لِمَنْ قُتِلَ فِي مَغَازِيكُمْ أَوْ مَاتَ: قُتِلَ فُلانٌ وَهُوَ شَهِيدٌ أَوْ مَاتَ فُلانٌ شَهِيدًا، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ أَوْقَرَ عَجُزَ دَابَّتِهِ، أَوْ قَالَ: رَاحِلَتِهِ ذَهَبًا أَوْ وَرِقًا يَلْتَمِسُ التِّجَارَةَ، فَلا تَقُولُوا ذَاكُمْ وَلَكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مَاتَ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ»(١).

والصواب: أن يقال: نحسبه شهيدًا والله حسيبه؛ لأن الحكم للظاهر، وأما السرائر فعلمها عند الله، وهو أعلم بمن يستحق كرامة الشهادة.



(١) رواه أحمد (٢/ ١٠٩).

الباب الخامس: الأسماء والصفات

باب الأسماء والصفات من أشرف أبواب العقيدة، لأنه متعلق بمعرفة العبد بربه، وبأسمائه الحسنى وصفاته العُلا، وهو الباب الذي ضلت فيه الفرق بين معطِّل وممثِّل، وأما أهل السنة والجماعة فأثبتوا ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، بلا تحريف ولا تعطيل، وبلا تكييف ولا تمثيل.

ويشتمل هذا الباب على خمسة مباحث:

المبحث الأول: القواعد العامة في باب الصفات.

المبحث الثاني: إثبات الصفات كما وردت في الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: نفي التشبيه والتمثيل.

المبحث الرابع: الرد على أهل التعطيل والتحريف.

المبحث الخامس: أمثلة تطبيقية: العلم – السمع – البصر – الاستواء – النزول – الكلام.

المبحث الأول: القواعد العامة في باب الصفات

الأسماء والصفات باب توقيفي، فلا يُثبت إلا بنص، ولا يُنفى إلا بنص، ولا مجال للعقل فيه، ومنهج أهل السنة أن يثبتوا الصفات كما جاءت بلا زيادة ولا نقصان، مع تنزيه الله عن مماثلة المخلوقين.

أولًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، هذه الآية جمعت بين التنزيه والإثبات، فنفت التمثيل وأثبتت السمع والبصر.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤]، سورة التوحيد تضمنت تنزيه الله عن الشبيه، وإثبات كمال أسمائه وصفاته.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، دليل على وجوب إثبات الأسماء كلها على الوجه اللائق به سبحانه.

وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، نص في إثبات صفة الاستواء، على الوجه اللائق بجلاله.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، فيها إثبات اليدين صفةً لله بلا تمثيل ولا تعطيل.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»(١)، فيه إثبات الأسماء الحسنى، وأن معرفتها عبادة تقرب إلى الله.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لاَ أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلاَ شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللهِ، وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ»(٢)، إثبات الغيرة والمحبة والمدح من صفات الله على الوجه اللائق به.

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(٣)، في هذا إثبات كمال قيوميته، وفيه إثبات الوجه والنور والبصر والعلو لله سبحانه.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٢٧٣٦)، ومسلم، برقم: (٢٦٧٧).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٤٦٣٤)، ومسلم، برقم: (٢٧٦٠).

(٣) رواه مسلم، برقم: (١٧٩).

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ: «لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»(١)، في هذا إثبات صفة القدم لله على الوجه اللائق بجلاله.

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: قَالَ: «إِنَّ اللهَّ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُّ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُّ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُّ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُّ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»(٢)، وفي هذا إثبات العلم والكتابة لله.

رابعًا: القواعد التي قررها أهل السنة:

إثبات بلا تمثيل: فلا تماثل صفاته صفات المخلوقين.

تنزيه بلا تعطيل: لا ينفي عن الله ما وصف به نفسه.

التوقف عند النصوص: فلا نتجاوز القرآن والسنة.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٦٦٦١)، ومسلم، برقم: (٢٨٤٨).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٦٤٩١)، ومسلم، برقم: (١٣١).

التفويض في الكيفية: نعلم المعنى ونفوّض الكيفية لله([١]).

خامسًا: الخلاصة: منهج أهل السنة والجماعة وسط بين طرفين:

طرف المعطلة: الذين أنكروا الصفات([٢]).

طرف الممثلة: الذين مثلوا الله بخلقه([٣]).

---

(١) **قال الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٤٩): مذهب السلف: التفويض في الكيفية؛ لأن العقل يعجز عن إدراكها، والشرع لم يرد بها، وأما المعنى فإنهم يؤمنون به، ويثبتونه ويقررونه ويفصلون فيما يحتاج إلى تفصيل، وهذا أمر معلوم من كتبهم. اهـ

(٢) انظر التعريف بهم في الباب الحادي عشر.

(٣) المشبِّهة هم الذين شبَّهوا الله تعالى بخلقه، فأثبتوا له صفات على وجه يماثل صفات المخلوقين، فقالوا مثلًا: له وجه كوجوهنا أو يد كأيدينا، وهذا انحراف عظيم، لأن الله سبحانه يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، فالمشبِّهة قابلوا المعطِّلة من الطرف الآخر؛ فبينما عطل أولئك الصفات، وقع هؤلاء في التمثيل والتشبيه، وكلاهما ضلال، والحق هو ما عليه أهل السنة والجماعة من إثبات الصفات كما وردت بلا تمثيل ولا تعطيل.

ومن طوائف المشبهة **الهشامية** أتباع هشام بن الحكم الرافضي، الذين قالوا إن الله جسم وله طول وعرض وعمق.

فالواجب إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إثباتًا يليق بكماله وجلاله، من غير تمثيل ولا تعطيل، وهذا هو طريق النجاة وصراط السلف الصالح.

=

ومنهم **الكرامية** أتباع محمد بن كرام، الذين قالوا إن الله على العرش مماسّ له، ووصفوه بالجلوس والانتقال كالمخلوق.

وكذلك بعض الغلاة من الرافضة والمجسمة الذين قالوا إن لله صورة أو أعضاء كأعضاء البشر.

وقد أجمع السلف على ذم هؤلاء كما ذموا المعطلة، وقالوا: من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن نفى عن الله ما وصف به نفسه فقد كفر، وإنما الهدى في قول أهل السنة: إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل.

المبحث الثاني: إثبات الصفات كما وردت في الكتاب والسنة

أهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في سنته، من غير زيادة ولا نقصان، ومن غير تكييف ولا تمثيل، والإثبات عندهم على قاعدة: **إمرار النصوص كما جاءت مع فهم معانيها، وتفويض كيفياتها إلى الله.**

أولًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، في هذه الآية إثبات صفة الحياة الكاملة والقيومية المطلقة.

وقال سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، في هذه إثبات عظمة الملك والكرسي، على ما يليق بالله، وهو موضع القديم لله تعالى.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، في هذه إثبات صفة المحبة لله على الوجه اللائق بجلاله.

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، في هذه نص صريح على صفة الكلام لله تعالى.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إثبات العلو والعظمة لله تعالى.

وقال سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥]، إثبات صفة

الاستواء، على ما يليق بجلاله بلا تكييف.

ثانيًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(١)، فيه إثبات صفة النزول لله نزولًا يليق بجلاله.

وعن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ٣٩﴾ [ق: ٣٩]، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: «افْعَلُوا لاَ تَفُوتَنَّكُمْ»(٢)، فيه إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

وعن بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا

---

(١) رواه البخاري، برقم: (١١٤٥)، ومسلم، برقم: (٧٥٨).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٧٤٣٤)، ومسلم، برقم: (٦٣٣).

مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنَّ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟»، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟، قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ» (١)، فيه إثبات النظر إلى وجه الله، وهو أعظم نعيم، وفيه إثبات الضحك له سبحانه، وفيه إثبات الكلام لله تعالى.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ رَحِيمٌ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ، ثُمَّ لَا يَضَعُ فِيهِمَا خَيْرًا»(٢)، فيه إثبات صفة الرحمة لله تعالى، وفيه إثبات صفة الحياء له سبحانه.

رابعًا: خلاصة منهج أهل السنة:

إثبات الصفات كما جاءت في الكتاب والسنة.

من غير تحريف للفظها أو معناها.

ومن غير تعطيل لنفيها.

ومن غير تكييف لكيفيتها.

ومن غير تمثيل لها بصفات المخلوقين.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في الاستواء: الاستواء معلوم، والكيف مجهول،

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٦٥٧١)، مسلم، برقم: (١٨٧).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (١/ ٤٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٦٣)

والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[١].

---

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٠٤)، والعلو للعلي الغفار للذهبي (ص١٠٣)، والتمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٠).

المبحث الثالث: نفي التشبيه والتمثيل

أهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى الأسماء والصفات على الوجه اللائق به، **من غير تشبيهٍ ولا تمثيل**، فالله سبحانه له الكمال المطلق الذي لا يشبهه فيه أحد، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١]، فهو متفرّد بجلاله وعظمته، وكل ما خطر ببالك فالله بخلافه.

أولًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، فهذا نص جامع في نفي المثلية عن الله مع إثبات الصفات.

وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، فيها نفي المماثلة والمساواة عن الله مطلقًا.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، فيها نفي أن يكون لله شبيه أو نظير.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]، فيها النهي عن التشبيه والتمثيل بأي وجه.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠]، فيها تنزيه الله عن أوصاف المخلوقين.

ثانيًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللهِ مَلْأَى لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ المِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»(١)، فيه إثبات صفة اليد والإنفاق والكرم لله، مع نفي مماثلته لكرم المخلوقين.

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»(٢)، فالله يُنزه عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم الناقصة، فصبره ليس كصبرهم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(٣)، فيه إثبات صفة النزول لله، لكن نزولًا يليق بجلاله لا يشبه نزول المخلوقين.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٦٨٤)، ومسلم، برقم: (٩٩٣).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٦٠٩٩)، ومسلم، برقم: (٢٨٠٤).

(٣) رواه البخاري، برقم: (١١٤٥)، ومسلم، برقم: (٧٥٨).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(١)، فيه إثبات الوجه والبصر مع نفي مشابهتهما لوجوه المخلوقين وأبصارهم.

ثالثًا: منهج السلف في هذا الباب:

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث(٢).

وتقدم قول الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة(٣).

وقال نعيم بن حماد رَحِمَهُ اللَّهُ: من شبّه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف

---

(١) رواه مسلم، برقم: (١٧٩).

(٢) السنة للخلال (١/ ٢٥٠) بإسناده، ونقله ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦) وغيره.

(٣)الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٠٤)، والعلو للعلي الغفار للذهبي (ص١٠٣)، والتمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٠).

به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيه([١]).

خامسًا: الخلاصة: إثبات الصفات لا يعني التشبيه، ونفي التشبيه لا يعني التعطيل، بل الواجب هو الإثبات والتنزيه معًا.

إثبات الصفات الواردة في النصوص.

تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين، وهذا هو الصراط المستقيم الذي سار عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان.

---

(١) انظر: العلو للذهبي (ص ١٨٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٥٣٢)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٦٢).

المبحث الرابع: الرد على أهل التعطيل والتحريف

أولًا: التعريف:

التعطيل:([1]) نفي صفات الله وإنكارها، أو نفي معانيها التي دلت عليها النصوص.

التحريف: صرف النصوص عن ظاهرها ومعناها الصحيح إلى معانٍ مبتدَعة لم يرد بها الشرع.

وقد وقع فيهما طوائف من أهل الكلام كالجهمية([2])، والمعتزلة([3]) والأشاعرة([4]) وغيرهم، فإما أن ينفون الصفات مطلقًا، أو يثبتون بعضها ويحرفون بعضها.

---

(١) المعطلة هم الذين عطّلوا الله سبحانه من أسمائه وصفاته أو بعضها بحجة التنزيه، فزعموا أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه بالمخلوق، فوقعوا في نفي ما وصف الله به نفسه، فخلاصة مذهبهم أنهم نفاة لصفات الله، أرادوا التنزيه فوقعوا في التعطيل

(٢) انظر التعريف بهم في الباب الحادي عشر.

(٣) انظر التعريف بهم في الباب الحادي عشر.

(٤) انظر التعريف بهم في الباب الحادي عشر.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ففي هذا وعيد شديد لمن ألحد في أسماء الله أو في صفاته، الإلحاد الميل بها عن ظاهرها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ﴾ [فصلت: ٤٠]، الإلحاد في آيات الله يدخل فيه تحريفها وصرفها عن معانيها.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]، لا يجوز ردّ كلام الله أو تحريفه، فهو أصدق القائلين.

وقال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١١٥]، لا يحق لأحد أن يغير معاني كلمات الله أو يبدلها.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ [الفتح: ١٥]، التحريف تبديل لكلام الله، وقد ذمّه الله في كتابه.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ﴾ [المائدة: ١٣]، ذمّ الله أهل الكتاب على تحريفهم النصوص، ومن فعل مثلهم فقد شابههم.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَّ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ،

فَضَلُّوا»(١)، فالتحريف والتعطيل ثمرة لذهاب العلماء وظهور الجهّال.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» (٢)، كل مَن حرّف النصوص أو أحدث تأويلات باطلة مردود عليه.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال في خطبته: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٣)، والتحريف من البدع التي تدخل في عموم هذا الحديث.

رابعًا: رد شيخ الإسلام على المعطلة:

فقال كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٧): وَمَذْهَبُ السَّلَفِ بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ، فَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِ اللهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ كَمَا لَا يُمَثِّلُونَ ذَاتَه بِذَاتِ خَلْقِهِ، وَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، فَيُعَطِّلُوا أَسْمَاءَهُ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَيُحَرِّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيُلْحِدُوا فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ فَرِيقَيْ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ: فَهُوَ جَامِعٌ بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ، أَمَّا الْمُعَطِّلُونَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ إلَّا مَا هُوَ اللَّائِقُ بِالْمَخْلُوقِ، ثُمَّ شَرَعُوا فِي نَفْيِ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (١٠٠)، ومسلم، برقم: (٢٦٧٣).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم، برقم: (١٧١٨).

(٣) رواه مسلم، برقم: (٨٦٧).

تِلْكَ الْمَفْهُومَاتِ؛ فَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ مَثَّلُوا أَوَّلًا وَعَطَّلُوا آخِرًا، وَهَذَا تَشْبِيهٌ وَتَمْثِيلٌ مِنْهُمْ لِلْمَفْهُومِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِالْمَفْهُومِ مِنْ أَسْمَاءِ خَلْقِهِ وَصِفَاتِهِمْ وَتَعْطِيلٌ لِمَا يَسْتَحِقُّهُ هُوَ سُبْحَانَهُ مِنْ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِاَللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ إذَا قَالَ الْقَائِلُ: لَوْ كَانَ اللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَلَزِمَ إمَّا أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ مِنْ الْعَرْشِ أَوْ أَصْغَرَ أَوْ مُسَاوِيًا، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ الْمُحَالِ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ الْكَلَامِ: فَإِنَّهُ لَمْ يُفْهَمْ مِنْ كَوْنِ اللهَّ عَلَى الْعَرْشِ إلَّا مَا يَثْبُتُ لِأَيِّ جِسْمٍ كَانَ عَلَى أَيِّ جِسْمٍ كَانَ، وَهَذَا اللَّازِمُ تَابِعٌ لِهَذَا الْمَفْهُومِ، إمَّا اسْتِوَاءٌ يَلِيقُ بِجَلَالِ اللهَّ تَعَالَى وَيَخْتَصُّ بِهِ فَلَا يَلْزَمُهُ شَيْءٌ مِنْ اللَّوَازِمِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي يَجِبُ نَفْيُهَا كَمَا يَلْزَمُ مِنْ سَائِرِ الْأَجْسَامِ وَصَارَ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ الْمُثَلِ: إذَا كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعٌ فَإِمَّا أَنْ يَكُونُ جَوْهَرًا أَوْ عَرَضًا، وَكِلَاهُمَا مُحَالٌ؛ إذْ لَا يَعْقِلُ مَوْجُودٌ إلَّا هَذَانِ، وَقَوْلُهُ: إذَا كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى الْعَرْشِ فَهُوَ مُمَاثِلٌ لِاسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى السَّرِيرِ أَوْ الْفَلَكِ؛ إذْ لَا يُعْلَمُ الِاسْتِوَاءُ إلَّا هَكَذَا فَإِنَّ كِلَيْهِمَا مَثَّلَ وَكِلَيْهِمَا عَطَّلَ حَقِيقَةَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ وَامْتَازَ الْأَوَّلُ بِتَعْطِيلِ كُلِّ اسْمٍ لِلِاسْتِوَاءِ الْحَقِيقِيِّ وَامْتَازَ الثَّانِي بِإِثْبَاتِ اسْتِوَاءٍ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَالْقَوْلُ الْفَاصِلُ: هُوَ مَا عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْوَسَطُ؛ مِنْ أَنَّ اللهَّ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَيَخْتَصُّ بِهِ فَكَمَا أَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ وَنَحْوَ ذَلِكَ.. الخ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

خامسًا: الخلاصة: الرد على أهل التعطيل والتحريف يكون بالتمسك بمنهج السلف، وهو:

الإثبات لما أثبته الله لنفسه.

والتنزيه عما نفاه الله عن نفسه.

الإعراض عن التحريف وصرف النصوص عن معانيها.

الرد على أهل البدع بالأدلة النقلية والعقلية.

فالتعطيل إنكار، والتحريف تبديل، وكلاهما ضلال، والنجاة في الإثبات بلا تمثيل، والتنزيه بلا تعطيل.

المبحث الخامس: أمثلة تطبيقية للصفات

(العِلم – السَّمع – البَصر – الاستواء – النزول – الكلام)

أولًا: صفة العِلم:

قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فيها إثبات أحاطت علم الله بكل شيء، لا يغيب عنه صغير ولا كبير.

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وصف الله نفسه بالعلم المطلق الشامل لكل شيء.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»(١)، فيه إثبات علمه سبحانه، وأنه محيط بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ثانيًا: صفة السَّمع:

قال الله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]، سمع الله محاورة المرأة مع نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فدل على كمال سمعه.

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٦٥٣).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝٣٩﴾ [إبراهيم: ٣٩]، فيه إثبات السمع لله وأن الله يسمع دعاء عباده على اختلاف لغاتهم وحاجاتهم.

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ، هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ»(١)، فيه إثبات صفة السمع، وأن الله يسمع كل داعٍ.

ثالثًا: صفة البَصر:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٧﴾ [الشورى: ٢٧]، فيه إثبات أن الله يرى عباده وأحوالهم، لا يخفى عليه شيء.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، فيه تأكيد عناية الله ورؤيته لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ وَلَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ». قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَأَخْبَرَنِي عُمَرُ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٦٣٨٤)، ومسلم، برقم: (٢٧٠٤).

بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَئِذٍ لِلنَّاسِ وَهُوَ يُحَذِّرُهُمْ فِتْنَتَهُ: «تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ، يَقْرَأُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ» (١)، فيه إثبات صفة العينين لله، وإثبات صفة البصر، وإثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة.

رابعًا: صفة الاستواء:

قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، الاستواء ثابت في سبعة مواضع من القرآن(٢)، وهو علو وارتفاع يليق بجلاله.

---

(١) رواه مسلم، برقم: (١٨٣).

(٢) المواضع السبعة التي ورد فيها الاستواء وهي:

الأول: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

الثاني: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [يونس:٣].

الثالث: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الرعد:٢].

الرابع: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥].

الخامس: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩].

السادس: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [السجدة:٤].

السابع: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ [الحديد:٤].

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، تكرار الاستواء في مواضع متعددة يدل على عظمته وأهميته.

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة(١).

خامسًا: صفة النُّزول:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(٢)، فيه إثبات نزول الله نزولًا يليق بجلاله، لا يشبه نزول المخلوقين.

سادسًا: صفة الكلام:

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، هذا توكيد بالمصدر ﴿تَكۡلِيمٗا﴾ لقطع أي احتمال للتأويل أو المجاز، فهو كلام حقيقي، يدل على أن الله يتكلم متى شاء بما شاء، وأن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سمع كلام الله مباشرة.

---

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٠٤)، والعلو للعلي الغفار للذهبي (ص١٠٣)، والتمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٠).

(٢) رواه البخاري، برقم: (١١٤٥)، ومسلم، برقم: (٧٥٨).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، تصريح بأن الذي كلمه هو ربه جَلَّجَلَالُهُ، لا مَلَك ولا وساطة، مما يثبت أن الله يتكلم حقيقة بصوت يُسمع، وأن موسى سمعه بلا واسطة، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾.

وقد أجمع السلف على أن هاتين الآيتين من **أوضح الأدلة** على إثبات صفة الكلام لله، كلامًا حقيقيًا يليق بجلاله، لا يشبه كلام المخلوقين، ولا يجوز تأويله بالكلام النفسي أو المعنى القائم بالنفس كما فعل الأشاعرة(١).

وعن عبد الله بن أنيس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ،

---

(١) **الأشاعرة** يقولون: كلام الله صفة نفسية أزلية قائمة بذاته، بلا صوت ولا حروف، يسمونها الكلام النفسي، أما القرآن والتوراة وسائر الكتب عندهم فليست هي كلام الله على الحقيقة، وإنما هي تعبير مخلوق عن ذلك الكلام النفسي الأزلي، ولهذا قالوا: القرآن ليس بحروف ولا صوت، بل هو معنى قائم بالنفس، وما نتلوه نحن فهو مخلوق.

فالخلاصة: الأشاعرة نفوا أن الله يتكلم بحرف وصوت، وجعلوا كلامه معنى نفسيًّا فقط، وهذا مخالف للنصوص الصريحة مثل: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء:١٦٤].

وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ» قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»(١)، فيه إثبات صفة الكلام لله، وأنه بصوت، وأنه يُسمِع من شاء من عباده.

الخلاصة: هذه أمثلة عملية توضّح لمنهج أهل السنة في الأسماء والصفات:

- إثبات الصفات كما وردت، بلا تحريف ولا تعطيل.
- تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين.
- تفويض الكيفية إلى الله وحده مع إثبات معناها على ما يليق به سبحانه.

فالعِلم، والسمع، والبصر، والاستواء، والنزول، والكلام: كلها صفات ثابتة، تُثبت على وجه الكمال، مع الإيمان بأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، معلقًا، ووصله الإمام أحمد، برقم: (١٦٠٤٢)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٧).



الباب السادس: القضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر أحد أصول الإيمان الستة، ولا يتم إيمان العبد إلا به، وقد ضلت فيه طوائف بين غالٍ وجافٍ: فالقدرية نفوا علم الله السابق وخلقه لأفعال العباد، والجبرية سلبوا العبد قدرته واختياره، ومذهب أهل السنة والجماعة قول وسط موافق للكتاب والسنة: فالعبد له مشيئة وقدرة لكنها لا تخرج عن مشيئة الله وإرادته.

ويشتمل هذا الباب على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى القدر وأركانه.

المبحث الثاني: مراتب القدر الأربع.

المبحث الثالث: أثر الإيمان بالقدر في حياة المسلم والرد على المخالفين.



المبحث الأول: معنى القدر وأركانه

هذا الباب من أبواب العقيدة العظيمة، وهو من أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، فقد جاء في حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين سأل جبريل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».(١)

أولًا: تعريف القدر:

لغةً: بسكون الدال وفتحها القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عَزَّوَجَلَّ من القضاء، ويحكم به من الأمور، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القدر: ١]. أي: الحكم، أو التي تقدر فيها الأرزاق وتقضى، وقدر الله عليه ذلك: بفتح الدال مخففة ومشددة: كتبه عليه، والقدرة: بفتح القاف وسكون الدال.

اصطلاحًا: ما قدّره الله في الأزل من مقادير الخلائق كلها، مما كان ويكون، بعلمه وكتابته ومشيئته وخلقه.

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٨).

ثانيًا: أركان الإيمان بالقدر أربعة:

١- **العِلم**: أن الله قد علم كل شيء أزلًا[(١)].

٢- **الكتابة**: أن الله كتب كل ما هو كائن في اللوح المحفوظ.

٣- **المشيئة**: أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

٤- **الخلق**: أن الله خالق كل شيء.

ثالثًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢]، فيها إثبات عموم الخلق والتقدير لكل شيء.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩]، وهذا نص صريح في شمول القدر لكل ما يكون.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فيها دليل على أن علم الله محيط بكل شيء.

---

(١) كلمة أزل: تعني: في القدم الذي لا بداية له، وتستعمل في وصف وجود الله سبحانه، إذ هو الأول بلا ابتداء، الباقي بلا انتهاء، والأولى التعبير بقول الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، كما جاء بذلك الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو عِنْدَ النَّوْمِ قال: «اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» رواه مسلم، برقم: (٢٧١٣).

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد: ٢٢]، وهذا دليل على كتابة المقادير في اللوح المحفوظ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فيها بيان أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله.

رابعًا: أدلة السنة النبوية:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ قال: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»(١)، وهذا فيه تأكيد أن التقدير قديم قبل خلق العالم.

وعن علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦﴾ [الليل: ٥- ٦]

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٦٥٣).

الآيَةَ(١)، فيه إثبات الكتابة السابقة للخلق.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»(٣)، ففي هذا أن الله قد كتب كل ما يجري على العبد من سعادة وشقاوة.

وعن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٦٦٠٥)، ومسلم، برقم: (٢٦٤٧).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٦٦٤).

(٣) رواه البخاري، برقم: (٣٢٠٨)، ومسلم، برقم: (٢٦٤٣).

حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»(١)، فنفى الإيمان عن العبد حتى يؤمن بأقدار الله، وأنه كائنة لا محالة.

خامسًا: الخلاصة: الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، ومن أنكر شيئًا منها فقد ضل عن سبيل أهل السنة، وهو ركن عظيم من أركان الإيمان، به يطمئن القلب، ويزول القلق، ويعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (٢١٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢٥٨).

المبحث الثاني: مراتب القدر الأربع

أهل السنة والجماعة يقررون أن الإيمان بالقدر لا يكتمل إلا بالإيمان بمراتبه الأربع:

العِلم: أي: أن الله علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

الكتابة: أي: أن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء.

المشيئة: أي: أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

الخلق: أي: أن الله خالق كل شيء، أفعال العباد وغيرها.

أولًا: المرتبة الأولى: العِلم:

قال الله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝٢٨﴾ [الجن: ٢٨]، فالله علم كل شيء وأحصاه علمًا وعدًا.

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لابنه: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا

فَلَيْسَ مِنِّي»(١)، فيه إثبات أن الإيمان بالعلم السابق شرط لطعم الإيمان.

ثالثًا: المرتبة الثانية: الكتابة:

قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾ [الحديد: ٢٢]، فيها إثبات أن المقادير مكتوبة قبل وقوعها.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»(٢)، وهذا فيه تصريح بأن الكتابة كانت قبل الخلق.

رابعًا: المرتبة الثالثة: المشيئة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]، فيها أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٣)، فيه

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (٢١٤٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٥٦٧).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٦٥٣).

(٣) رواه مسلم، برقم: (٢٦٦٤).

تعليم للعبد أن يرد الأمور لمشيئة الله.

خامسًا: المرتبة الرابعة: الخلق:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ [الزمر: ٦٢]، فيه إثبات عموم الخلق لكل ما سواه.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩]، فالخلق كله داخل في التقدير الإلهي.

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ»(١)، فيه دليل على أن الله خالق العباد وخالق أعمالهم.

سادسًا: الخلاصة: مراتب القدر الأربع متلازمة:

- فمن آمن بالعلم ولم يؤمن بالكتابة فقد أنكر(٢).
- ومن آمن بالكتابة ولم يؤمن بالمشيئة فقد ضل.
- ومن آمن بالمشيئة ولم يؤمن بالخلق فقد ناقض نفسه.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة، برقم: (٣٥٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ١٨١).

(٢) فمن قال: أؤمن أن الله يعلم الأشياء قبل وقوعها، لكنه أنكر أن تكون مكتوبة عند الله في اللوح المحفوظ، فهذا قد أنكر مرتبة من مراتب القدر، ومن أنكر مرتبة من مراتب القدر فقد أنكر القدر كله، لأن المراتب متلازمة، يكمل بعضها بعضًا.

وكمال الإيمان بالقدر أن يؤمن العبد بها كلها، فيستسلم قلبه لعلم الله، ويرضى بقدره، ويطمئن إلى مشيئته، ويوقن أنه لا خالق إلا هو.

المبحث الثالث: أثر الإيمان بالقدر في حياة المسلم

الإيمان بالقدر ليس مجرد علم نظري، بل هو عقيدة عظيمة تثمر في قلب المؤمن طمأنينةً ويقينًا، وتنعكس على سلوكه وحياته كلها، فإذا استقر القدر في قلب العبد أورثه الرضا، والثبات عند البلاء، والتواضع عند النعمة، والسكينة في مواجهة أحداث الحياة.

أولًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ﴾ [التغابن: ١١]، فالمؤمن بالقدر يطمئن قلبه عند المصيبة ويهتدي إلى الصبر.

وقال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، يظهر الإيمان بالقدر أثرًا في التوازن النفسي: لا حزن مفرط، ولا فرح مغرور.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة: ٥١]، يثمر الإيمان بالقدر شجاعة وثقة بالله، فلا يخاف المؤمن إلا ربه.

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩]، إيمان العبد بهذا يجعله لا يجزع من البلاء لأنه مقدر.

وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فالإيمان بالقدر يورث حسن الظن بالله حتى في المكاره.

ثانيًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(١)، الإيمان بالقدر يربي على القوة والعزيمة والتسليم للقدر.

وعن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(٢)، فالإيمان بالقدر يجعل حياة المؤمن كلها خيرًا.

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَّ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِّ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٦٦٤).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٩٩٩).

اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(١)، فالإيمان بالقدر يكون سببا في غرس الثقة بالله، واليقين بأن ما كتبه الله نافذ.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»(٢)، فلا يكتمل إيمان العبد إلا بالتسليم للقدر.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»(٣)، فالإيمان بالقدر يثمر الرضا عند البلاء.

رابعًا: ثمرات الإيمان بالقدر:

- **الطمأنينة القلبية**: فلا قلق ولا اضطراب.
- **الرضا بالقضاء**: فلا تسخّط ولا اعتراض.

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (٢٥١٦) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٥٩)، والوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١/ ٥٥٧).

(٢) رواه الترمذي، برقم: (٢١٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢٥٨).

(٣) رواه الترمذي، برقم: (٢٣٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٣١).

- **الشجاعة والإقدام**: فلا خوف من المخلوقين.
- **حسن الظن بالله**: في المكاره والمصائب.
- **توطين النفس**: بين النعم والابتلاءات.

خامسًا: الخلاصة: الإيمان بالقدر ينعكس على حياة المسلم كلها، فيجعله ثابتًا عند المصائب، شاكرًا عند النعم، مطمئن القلب، قوي العزيمة، سليم النفس، راضيًا بما قضى الله، موقنًا أن الخير فيما اختاره الله لعباده.

المبحث الرابع: الرد على المخالفين في باب القدر

أولًا: تعريف المخالفين في القدر:

انقسم أهل البدع في باب القدر إلى طائفتين خطيرتين:

القدرية النفاة(١): الذين زعموا أن الله لم يقدِّر أفعال العباد، وأن العبد يخلق فعله بنفسه، فأنكروا علم الله السابق ومشيئته.

الجبرية(٢): الذين زعموا أن العبد مجبور لا اختيار له ولا قدرة، فجعلوه

---

(١) القدرية النفاة: هم أول فرقة ظهرت في الإسلام أنكرت القدر، وزعمت أن أفعال العباد تقع منهم استقلالا، ولا تدخل تحت مشيئة الله تعالى ولا خلقه، ولهذا سمّاهم السلف: مجوس هذه الأمة، وجاء عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تشهدوهم»، رَوَاهُ أَحْمد وَأَبُو دَاوُد وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/ ٣٨)، سموا بذلك لأنهم أثبتوا للخلق خالقين: الله تعالى والعبد، كما أن المجوس يثبتون خالقًا للنور وخالقًا للظلمة، وانظر: مزيد التعريف بهم في الباب الحادي عشر

(٢) الجبرية: فرقة تقابل القدرية النفاة في الغلو، قالوا: إن العبد مجبور على أفعاله كلها، وليس له اختيار ولا قدرة، وإنما هو كالريشة في مهب الريح، أو كآلة تتحرك بغير إرادة، فزعموا أن

كالريشة في مهب الريح.

وكلا الطائفتين على ضلال، والحق وسط بينهما: فالعبد له مشيئة واختيار، لكنها تابعة لمشيئة الله، والله خالق أفعال العباد.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، فيها ردّ على القدرية الذين أنكروا أن الله خلق أفعال العباد.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فيها ردّ على الجبرية والقدرية معًا، فالعبد له مشيئة لكنها تابعة لمشيئة الله.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فيها إثبات علم الله السابق يردّ على نفاة القدر.

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]، وهذا نص صريح في أن الله خالق العباد وأعمالهم.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾

=

الله هو الفاعل حقيقة لكل أفعال العباد، وأن العبد لا فعل له ولا اختيار، وإنما تنسب الأفعال إليه مجازًا.

مؤسس المذهب: أول من تكلم بالجبر في أوائل الإسلام هو الجهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ) رأس الجهمية، فنسبت مقالة الجبرية إليه وإلى أتباعه، حتى اشتهر أمرهم.

[الحديد: ٢٢]، فيها دليل على كتابة القدر سابقًا، ردًّا على القدرية.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، **وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»،

قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(١)، وهذا يبين أن إنكار القدر يبطل العمل الصالح.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ»(٢)، وهذا نص صريح في شمول القدر لكل شيء.

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لابنه: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٨).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٦٥٥).

فَلَيْسَ مِنِّي»(١)، يردّ على القدرية بوجوب الإيمان بالكتابة السابقة.

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل:٥- ٦] الآيَةَ(٢)، وهذا يردّ على الجبرية: فالعمل واجب، مع إثبات أن التيسير بقدر الله.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»(٣)، وهذا يبين بأن الإيمان بالقدر شرط لصحة الإيمان.

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (٢١٤٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٥٦٧).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٦٦٠٥)، ومسلم، برقم: (٢٦٤٧).

(٣) رواه الترمذي، برقم: (٢١٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٧٥٨٥).

رابعًا: منهج السلف في الرد على المخالفين:

قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إذا لقيتَ أولئك فأخبِرهم أني بريءٌ منهم، وأنهم بُرآءُ مني -يقصد القدرية-(١).

خامسًا: الخلاصة: المخالفون في باب القدر بين إفراط وتفريط:

فالقدرية: أنكروا علم الله السابق، وكتابته، وخلقه لأفعال العباد.

والجبرية: سلبوا العبد إرادته وجعلوه مجبورًا.

وأهل السنة وسط: يثبتون القدر بجميع مراتبه، ويؤمنون بمشيئة العبد وقدرته، وأنها تابعة لمشيئة الله.



---

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٧).

الباب السابع: اليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وهو من أعظم ما يرسخ في قلب العبد الخوف من الله والرجاء فيما عنده، ويجعل حياته على منهج الاستعداد للقاء الله، وقد تكرر ذكر اليوم الآخر وأهواله وأحواله في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ في مئات المواضع، لما له من أثر عظيم في تزكية النفوس وصلاح الأعمال.

ويشتمل على تسعة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة الإيمان باليوم الآخر

المبحث الثاني: الموت وأحوال البرزخ

المبحث الثالث: أشراط الساعة الصغرى والكبرى

المبحث الرابع: النفخ في الصور وأهوال البعث.

المبحث الخامس: البعث والنشور.

المبحث السادس: الميزان والصراط والحوض.

المبحث السابع: الشفاعة وأقسامها.

المبحث الثامن: الحساب والجزاء

المبحث التاسع: الجنة والنار.

المبحث الأول: حقيقة الإيمان باليوم الآخر

أولًا: التعريف:

لغةً: اليوم الآخر هو آخر الأيام، وهو يوم القيامة الذي لا يوم بعده.

اصطلاحًا: التصديق الجازم بكل ما أخبر الله به ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مما يكون بعد الموت: من فتنة القبر، ونعيمه أو عذابه، والبعث، والحشر، والحساب، والصراط، والميزان، والجنة، والنار.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فجعل الإيمان باليوم الآخر من أصول البر والإيمان.

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]، فلا يصح الإيمان إلا بالإيمان باليوم الآخر.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾ [النمل: ٤]، فالكفر بالآخرة سبب الضلال والعماية.

وقال تعالى: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة: ٤]، فاليقين بالآخرة وصف المتقين الذين اهتدوا بالقرآن.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات: ٥-٦]، فيها

تأكيد أن ما وعد الله به من اليوم الآخر حق لا ريب فيه.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث جبريل المشهور، قال: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١)، فالإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(٢)، فأثر الإيمان باليوم الآخر يظهر في الأخلاق والمعاملات.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٨).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٦١٣٦)، ومسلم، برقم: (٤٧).

قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»([1])، وفي هذا الحديث مشهد من مشاهد الآخرة يظهر فناء نعيم الدنيا.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»([2])، فشرط النجاة في اليوم الآخر هو الإيمان به والعمل الصالح.

رابعًا: ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

- **يزرع الخوف من الله**، والتهيؤ للقاءه.
- **يبعث على الطاعة**، وترك المعاصي.
- **يصبر على البلاء**، ويرجو ثواب الله.
- **يعدل في المعاملة**، ويقيم الحقوق.
- **يزهد في الدنيا**، ويقبل على الآخرة.

خامسًا: الخلاصة: الإيمان باليوم الآخر هو المحرك الأعظم للنفوس نحو الطاعة، وهو الذي يضبط سلوك العبد، ويجعله يعيش مراقبًا لله، منتظرًا للقاء ربه، خائفًا من عقابه، راجيًا ثوابه، ومن أنكر اليوم الآخر فقد كفر، ومن شك فيه لم يذق للإيمان طعمًا.

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٨٠٧).

(٢) رواه مسلم، برقم: (١٨٤٤).

المبحث الثاني: الموت وأحوال البرزخ

أولًا: التعريف:

الموت: مفارقة الروح للجسد، وانتقال العبد من دار العمل إلى دار الجزاء.

البرزخ: هو ما بين الموت والبعث، فيدخل الميت القبر ويعيش فيه حياة خاصة، فيها نعيم أو عذاب إلى قيام الساعة.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وحقيقة الموت عامة لا يستثنى منها أحد.

وقال سبحانه: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وهذا دليل على وجود حياة البرزخ بعد الموت إلى البعث.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، فالميت يتمنى الرجوع فلا يستجاب له، بل يمكث في البرزخ.

وقال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، فعذاب آل فرعون في البرزخ قبل يوم القيامة.

وقال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي

﴿ٱلْأَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فالثبات يشمل سؤال القبر وفتنته.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ «هَاهُنَا» وَقَالَ: «وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟» قَالَ هَنَّادٌ: قَالَ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟»، قَالَ: «فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ» زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ «فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [إبراهيم]» الْآيَةُ - ثُمَّ اتَّفَقَا - قَالَ: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ» قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا» قَالَ: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ» قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ» فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: «وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ» قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا» قَالَ: «وَيُضَيَّقُ

عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ» زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا» قَالَ: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا» قَالَ: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»(١)، فهذا أوضح حديث في بيان فتنة القبر ونعيمه أو عذابه.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا» - قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: «أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ»، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ - قَالَ: «وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»(٢)، فيه إثبات سؤال الملكين للمؤمن والمنافق بعد الدفن.

وعن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ

---

(١) رواه أحمد، برقم: (١٨٤٣٠)، وأبو داود، برقم: (٤٧٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩٧).

(٢) رواه البخاري، برقم: (١٣٣٨)، ومسلم، برقم: (٢٨٧٠).

الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»(١)، فيه أن القبر بداية منازل الآخرة.

وعن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»(٢)، فيه بيان أن الميت يُسأل مباشرة بعد دفنه.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ زَادَ غُنْدَرٌ: «عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ»(٣)، فهذا الحديث يقرر حقيقة عذاب القبر.

رابعًا: ثمرات الإيمان بالموت والبرزخ:

- **الاستعداد للموت** قبل نزوله.
- **الإكثار من العمل الصالح**، لأنه الزاد الحقيقي.

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (٢٣٠٨)، وابن ماجه، برقم: (٤٢٦٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٤٧).

(٢) رواه أبو داود، برقم: (٣٢٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٢٤).

(٣) رواه البخاري، برقم: (١٣٧٢)، ومسلم، برقم: (٥٨٦).

- **الخوف من عذاب القبر** فيردع عن المعاصي.
- **الرجاء في نعيم القبر** فيحفّز على الطاعة.
- **العظة والاعتبار** بحقيقة الموت، وأنه النهاية الحتمية لكل حي.

خامسًا: الخلاصة: الموت حق، والبرزخ حق، وسؤال القبر ونعيمه أو عذابه حق، وهو أول منازل الآخرة، فإن سلم منه العبد كان ما بعده أيسر، وإن عُذِّب فيه فما بعده أشد، والإيمان بهما يورث يقظةً قلبية، وزهدًا في الدنيا، ورغبةً في لقاء الله على طاعة.

المبحث الثالث: أشراط الساعة الصغرى والكبرى

أولًا: التعريف:

أشراط الساعة: العلامات التي يجعلها الله بين يدي قيام الساعة، دالة على قربها، وهي قسمان:

الصغرى: وهي التي تتقدم الساعة بمدة طويلة، وتكون كثيرة الوقوع متتابعة.

الكبرى: وهي العظام المهولة التي إذا وقعت تبعتها الساعة مباشرة، وتكون متتابعة كالخرز إذا انقطع سلكها.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، فيها إخبار أن للساعة أشراطًا قد وقعت بالفعل.

وقال سبحانه: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، فيها بيان قرب الساعة ودنو أشراطها.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، فيها انشقاق القمر من العلامات العظيمة التي وقعت في زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، فيها دليل على أن علامات الساعة متقدمة ومشاهدة.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٣٤﴾ [النازعات: ٣٤]، دلالة على عظم

ما بعد الأشراط من أهوال الساعة.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**» قَالَ: وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى(١)، فيه إشارة إلى قرب الساعة، وأن مبعثه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أول أشراطها.

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في حديث جبريل أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال -في ذكر أشراط الساعة-: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»(٢)، فيه أن من علامات الساعة الصغرى: انقلاب الموازين وكثرة الترف.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ -وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ- حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ**»(٣)، فمن أشراطها: كثرة القتل وسفك الدماء، وكثرة المال، وكثرة الزلازل.

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٩٣٦) ومسلم، برقم: (٨٦٧).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٨).

(٣) رواه البخاري، برقم: (٧٠٦١)، ومسلم، برقم: (١٥٧).

عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»(١)، فذكر في هذا الحديث العلامات الكبرى العظام.

رابعًا: تقسيم العلامات:

العلامات الصغرى: ومنها: مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، انشقاق القمر، وموت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وفتح بيت المقدس، وانتشار الفتن، وكثرة القتل، والترف والبنيان، وقبض العلم، وكثرة الزلازل.

العلامات الكبرى: ومنها: خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، ثلاثة خسوف، ونار تحشر الناس.

خامسًا: ثمرات الإيمان بأشراط الساعة:

- **اليقظة القلبية**: فإن العلامات تذكير دائم بقرب القيامة.
- **الحذر من الفتن**: لأن معظم العلامات متعلقة بالفتن والانحراف.
- **التثبت على الدين**: بالتمسك بالوحي والاعتصام بالسنة.

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٩٠١).

- **التهيؤ للساعة**: فمَن مات فقد قامت قيامته.
- **الاعتبار والتحذير**: من الغفلة والركون إلى الدنيا.

سادسًا: الخلاصة: أشراط الساعة حق، منها ما وقع، ومنها ما لم يقع، وكلها آيات بينات تدل على قرب اليوم الآخر، والإيمان بها واجب، لتثبيت القلوب، وزرع الخوف من الله، والاستعداد للقاءه.

المبحث الرابع: النفخ في الصور وأهوال البعث

أولًا: التعريف:

النفخ في الصور: هو نفخ الملك إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرن(١) بأمر الله تعالى، علامة لانتهاء الدنيا وبداية أهوال الآخرة.

وقد ثبت في النصوص أن النفخات ثلاث:

١- نفخة الفزع.

٢- نفخة الصعق.

٣- نفخة البعث.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]، دلت الآية على وقوع نفختين: الصعق الذي به يموت الخلق، ثم النفخة الأخرى التي يبعثون بها أحياء.

وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧]، فيها ذكر نفخة الفزع التي يضطرب عندها كل من في السموات والأرض.

---

(١) هو البوق، أو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ [المدثر: ٨-٩]، الناقور هو الصور، والآية تصور شدّة ذلك اليوم العظيم.

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤﴾ [الحاقة: ١٣-١٤]، فيها بيان ما يقع عند النفخة الأولى من الدمار والزلزال الكوني العظيم.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ قال: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ»(١)، فيبين الحديث أن الموكل بالنفخ وهو إسرافيل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ ينتظر الأمر منذ خُلق.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٢)، فيه إثبات أن بين النفختين مدة يقدرها الله

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (٢٤٣١)، وأحمد، برقم: (١١٠٣٩)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة، برقم: (١٠٧٨).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٤٩٣٥)، مسلم، برقم: (٢٩٥٥).

تعالى، مما يدل على عظم شأن ذلك اليوم.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا- فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ» قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»(١)،

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٩٤٠).

جمع الحديث بين نفخة الصعق التي يموت بها الخلق، ثم إنبات الأجساد بالمطر، ثم النفخة الأخرى التي يبعث بها الناس أحياء.

رابعًا: ثمرات الإيمان بالنفخ في الصور:

- اليقين بقدرة الله على إماتة الخلق وبعثهم.
- استحضار هول اليوم الآخر واستعداده.
- الخوف من الفجاءة إذ النفخة تأتي بغتة.
- زيادة التوكل على الله إذ بيده بدء الخلق وإعادته.
- ترسيخ الإيمان بالبعث والنشور.

خامسًا: الخلاصة: الإيمان بالنفخ في الصور من أصول عقيدة أهل السنة، وقد دلت عليه نصوص القرآن والسنة، وهو يكون ثلاث نفخات: الفزع، ثم الصعق، ثم البعث، والملك الموكل به هو إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والإيمان بهذا الركن العظيم يورث القلب خوفًا ورجاءً، ويبعث المسلم على الاستعداد للقاء الله تعالى.

المبحث الخامس: البعث والنشور

أولًا: التعريف:

البعث: إحياء الله للخلق بعد موتهم، وإخراجهم من قبورهم أحياءً للحساب والجزاء.

النشور: هو الانتشار من القبور إلى أرض المحشر بعد أن يبعثهم الله جَلَّ وَعَلَا.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٩]، فيها إثبات أن من قدر على الخلق أول مرة قادر على إحيائه ثانية.

وقال سبحانه: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ﴾ [التغابن: ٧]، فيها ردّ على منكري البعث، وإثبات وقوعه.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦]، فيها تقرير البعث بعد الموت حقيقة لازمة.

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١]، فيها تصوير لمشهد الخروج من القبور يوم البعث.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧]، شمول البعث لجميع الخلق بلا استثناء.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ، خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ»(١)، عَجْبُ الذنب أصل الإنسان الذي منه يعاد تركيبه يوم البعث.

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٢)، فالبعث هو الانتقال من القبر إلى المصير النهائي.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا» - قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: «أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ»، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ - قَالَ: «وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٨١٤)، ومسلم، برقم: (٢٩٥٥).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٣٢٤٠)، ومسلم، برقم: (٢٨٦٦).

غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»(١)، مشهد يسبق البعث يدل على المصير المحتوم.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢)، في هذا الحديث يبين رسول الله حالة من أحوال الناس يقوم القيامة.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ﴾ [المائدة: ١١٧]- إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١١٨]»(٣)، وفيه وصف حال الناس عند النشور يوم القيامة.

رابعًا: ثمرات الإيمان بالبعث والنشور:

- **يقين في عدل الله**: إذ لا يليق بحكمة الله أن يترك الظالم بلا جزاء والمظلوم بلا إنصاف.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (١٣٣٨)، ومسلم، برقم: (٢٨٧٠).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٤٧٦٠)، ومسلم، برقم: (٢٨٠٠)

(٣) رواه البخاري، برقم: (٣٣٤٩)، ومسلم، برقم: (٢٨٥٩).

- **الاستعداد الدائم**: فالعبد يتذكر خروجه من قبره فيعمل للقاء الله.
- **الزهد في الدنيا**: إذ يتأكد أنها دار ممر لا دار مقر.
- **التسليم لأمر الله**: فكما أنشأ الخلق أول مرة فهو قادر على إعادتهم.
- **يقظة قلبية**: تمنع من الغفلة والركون إلى الشهوات.

خامسًا: الخلاصة: البعث والنشور حق لا شك فيه، دلّت عليه نصوص الوحيين، وهو ركن عظيم من الإيمان باليوم الآخر، يوقظ القلوب، ويبعث الهمم، ويذكّر العباد بأن وراء هذه الحياة حياة أخرى فيها الجزاء والحساب.

المبحث السادس: الميزان والصراط والحوض

أولًا: التعريف:

الميزان: هو ما يضعه الله تعالى يوم القيامة لوزن أعمال العباد، دقيق لا يظلم مثقال ذرة، تُعرض فيه الحسنات والسيئات.

الصراط: جسر ممدود على ظهر جهنم يمر عليه الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من ينجو، ومنهم من يسقط.

الحوض: حوض نبينا محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ في عرصات القيامة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، من شرب منه لا يظمأ بعدها أبدًا.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]، فيه إثبات صريح للميزان الذي توزن به الأعمال بعدل مطلق.

وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: ٦-٩]، فيها بيان أثر الميزان: الثقل بالنجاة، والخفة بالهلاك.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١-٧٢]، فيها إشارة إلى المرور على

الصراط المضروب على جهنم، وهو الورود المذكور.

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر: ١]، والكوثر نهر في الجنة، ومنه يصبّ حوض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، وهو أصل الحوض المبارك.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ، فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ، فَيُوضَعُ مَا أُحْصِيَ عَلَيْهِ، فَتَمَايَلَ بِهِ الْمِيزَانُ»، قَالَ: «فَيُبْعَثُ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَإِذَا أُدْبِرَ بِهِ إِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ عِنْدِ الرَّحْمَنِ، يَقُولُ: لَا تَعْجَلُوا، لَا تَعْجَلُوا، فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ، فَيُؤْتَى بِبِطَاقَةٍ فِيهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَتُوضَعُ مَعَ الرَّجُلِ فِي كِفَّةٍ، حَتَّى يَمِيلَ بِهِ الْمِيزَانُ»(١)، فيه دليل على أن الميزان يزن أدق الأعمال، وأن كلمة التوحيد هي الأثقل.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»(٢)، فيه إثبات الصراط وهوله، حتى الرسل يدعون الله بالسلامة.

---

(١) رواه أحمد، برقم: (٧٠٦٦)، والترمذي، برقم: (٢٦٣٩)، وابن ماجه، برقم: (٤٣٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٨٠٩٤).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٧٤٣٩)، ومسلم، برقم: (١٨٢).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا»(١)، فيه وصف دقيق للحوض الشريف الذي اختص الله به نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

وعن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»(٢)، يدل الحديث على أن بعض من ينتسبون إلى الأمة يُمنعون من ورود الحوض بسبب بدعتهم وانحرافهم.

رابعًا: ثمرات الإيمان بالميزان والصراط والحوض:

- اليقين بعدل الله تعالى، وأن الأعمال لا تضيع صغيرة ولا كبيرة.
- الخوف من أهوال الصراط، مما يدفع للاستقامة.
- شدة الرجاء في ورود الحوض، وشرب شربة لا ظمأ بعدها.
- زيادة العمل الصالح لتثقيل الميزان يوم القيامة.
- اليقين أن النجاة محض فضل الله ورحمته.

خامسًا: الخلاصة: الميزان والصراط والحوض من عقائد أهل السنة والجماعة الثابتة بالكتاب والسنة، وهي مشاهد عظيمة من يوم القيامة، والإيمان بها يورث

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٦٥٧٩)، ومسلم، برقم: (٢٢٩٢).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٦٥٨٣)، ومسلم، برقم: (٢٢٩٠).

العبد يقينًا وخشية، ويجعله دائم العمل للنجاة يوم العرض على الله.

المبحث السابع: الشفاعة وأقسامها

أولًا: التعريف:

الشفاعة: هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة يوم القيامة، بإذن الله ورضاه، والشفاعة الثابتة عند أهل السنة هي ما كانت بعد إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له، بخلاف ما يزعمه أهل البدع من الشفاعات الباطلة.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، دلت الآية على أن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله.

وقال سبحانه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]، فيها إثبات أن شرط الشفاعة رضا الله عن المشفوع له.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩]، فيها تقييد الشفاعة يوم القيامة بإذن الرحمن ورضاه.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، تأكيد أن الشفاعة ليست لكل أحد، بل للمؤمنين الذين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ

أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ الله، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ الله، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»(١)، في هذا الحديث ذكر المقام المحمود والشفاعة العظمى لنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٧١٢)، ومسلم، برقم: (١٩٤).

وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»(١)، فيه إثبات خصوصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالشفاعة العظمى.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»(٢)، فيه بيان نوع آخر من شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأهل الكبائر من المسلمين.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»(٣)، فيه إثبات شفاعة إخراج عصاة الموحدين من النار.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٣٢٨)، ومسلم، برقم: (٥٢١).

(٢) رواه أبو داود، برقم: (٤٧٣٩)، والترمذي، برقم: (٢٤٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٣٧١٤).

(٣) رواه مسلم، برقم: (١٨٥).

رابعًا: أقسام الشفاعة:

الشفاعة العظمى: وهي خاصة بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لبدء الحساب حين يعتذر عنها الأنبياء.

الشفاعة لأهل الكبائر من أمته: بإذن الله يخرجون من النار.

الشفاعة في رفع درجات المؤمنين: زيادة في الفضل.

الشفاعة في أقوام استوجبوا النار أن لا يدخلوها.

الشفاعة في تخفيف العذاب عن بعض الكفار: كما خُفف عن أبي طالب.

خامسًا: ثمرات الإيمان بالشفاعة:

- ترسيخ الرجاء في رحمة الله.
- بيان فضل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وعلو مقامه.
- التمسك بالتوحيد، إذ الشفاعة لا تنال إلا لأهل التوحيد.
- تقوية العمل الصالح رجاء نيل الشفاعة.
- اليقين بعدل الله ورحمته معًا.

سادسًا: الخلاصة: الشفاعة من عقائد أهل السنة الثابتة بنصوص الوحيين، وهي كلها بإذن الله ورضاه، لا كما يزعم المشركون من شفاعة الأصنام، وأعظمها شفاعة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهي من دلائل مكانته وكرامته يوم القيامة.

المبحث الثامن: الحساب والجزاء

أولًا: التعريف:

الحساب: هو عرض أعمال العباد يوم القيامة ومناقشتهم فيها، ومجازاتهم عليها خيرًا أو شرًا.

الجزاء: ما يترتب على الحساب من الثواب للمطيعين، والعقاب للعاصين والكافرين.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]، وهذا نص صريح في عموم السؤال يوم القيامة.

وقال سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، فلا يُترك عمل مهما صغر إلا ويجازى به صاحبه.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦]، فيها أن الله وحده هو من يتولى حساب عباده.

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]، كل إنسان سيواجه كتاب أعماله بنفسه.

وقال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، فيها أن الحساب يوم القيامة مبني على العدل التام.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ» قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٨] قَالَ: «ذَلِكِ العَرْضُ»(١)، والمناقشة الدقيقة تؤدي إلى الهلاك، والنجاة بالعفو والصفح.

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ - وَقَالَ هِشَامٌ: يَدْنُو الْمُؤْمِنُ - حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الآخَرُونَ - أَوِ الكُفَّارُ - فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الأَشْهَادِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾ [هود: ١٨]»(٢)، فيه رحمة الله بالمؤمنين يوم الحساب.

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَا

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٦٥٣٦)، ومسلم، برقم: (٢٨٧٦).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٤٦٨٥)، ومسلم، برقم: (٢٧٦٨).

المُفْلِسُ؟» قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(١)، فيه أن الحساب يتضمن حقوق العباد والقصاص بينهم.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»(٢)، فيبين في هذا الحديث شدة الجزاء، وسرعة ذهاب لذّة الدنيا.

رابعًا: ثمرات الإيمان بالحساب والجزاء:

- **الاستعداد الدائم**: فعلى العبد أن يراقب نفسه لأنه سيحاسب.
- **العدل الإلهي**: يطمئن المظلوم أن حقه سيؤخذ.
- **التحذير من المعاصي**: فكل صغيرة وكبيرة مكتوبة.
- **الحث على الصالحات**: لأن الجزاء واقع لا محالة.

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٥٨١).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٨٠٧).

- **زهد في الدنيا**: لأنها دار امتحان، والجزاء في الآخرة.

خامسًا: الخلاصة: الحساب حق، والجزاء حق، دلّ عليه الوحيان، وهو مشهد عظيم تقر فيه العيون للمؤمنين بالعفو والصفح، وتخزى فيه وجوه الكافرين والمنافقين بالعدل والقسط، ومن لم يؤمن بالحساب ضلّ ضلالًا بعيدًا، ومن أيقن به أعدّ له عدته.

المبحث العاشر: الجنة والنار

أولًا: التعريف:

الجنة: دار النعيم المقيم التي أعدّها الله لعباده المؤمنين، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

النار: دار العذاب الأليم التي أعدّها الله للكفار والفساق، فيها من ألوان العقوبات ما يزجر ويردع، جزاءً وفاقًا.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٨]، فيها أن خلود المؤمنين في نعيم الجنة بلا انقطاع.

وقال سبحانه: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١]، وصف سوق الكافرين إلى النار جماعاتٍ مذلولين.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]، في المقابل يُساق المتقون إلى الجنة مكرمين.

وقال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، الفوز الحقيقي هو النجاة من النار ودخول الجنة.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾

[الحجر: ٤٥-٤٦]، فيها وصف نعيم الجنة وأمن أهلها.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]»(١)، فيه أن الجنة فوق ما يتصوره العقل البشري.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»(٢)، فيه أن لحظة في الجنة تنسي كل شقاء، ولحظة في النار تمحو كل نعيم.

وعن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٣٢٤٤)، ومسلم، برقم: (٢٨٢٤).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٨٠٧).

أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»(١)، فيه أن أعظم نعيم الجنة رؤية وجه الله الكريم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»(٢)، فيه أن نار الدنيا لا تساوي إلا جزءًا يسيرًا من نار جهنم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «احْتَجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ، وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا»(٣)، فيه أن الجنة رحمة الله، والنار عذابه وعدله.

رابعًا: ثمرات الإيمان بالجنة والنار:

- **العمل الصالح**: رجاء الجنة والخوف من النار يدفعان للطاعة.
- **ترك المعاصي**: خوف النار يردع العاصي عن التمادي.

---

(١) رواه مسلم، برقم: (١٨١)

(٢) رواه البخاري، برقم: (٣٢٦٥)، ومسلم، برقم: (٢٨٤٣).

(٣) رواه البخاري، برقم: (٤٨٥٠)، مسلم، برقم: (٢٨٤٦).

- **الزهد في الدنيا**: لأن الجنة أعظم نعيمًا والدنيا زائلة.
- **الثبات على الدين**: فالمؤمن يضحي لأجل النجاة.
- **الرجاء في رحمة الله**: إذ الجنة فضل من الله، والنار عدل منه.

خامسًا: الخلاصة: الجنة والنار حق، لا ريب فيهما، وهما المصير النهائي للخلق: فالجنة دار المتقين، والنار مأوى الكافرين، ومن أيقن بهما عمل للجنة وجانب أسباب النار.

المبحث السابع: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

أولًا: التعريف:

رؤية الله: هي تمكين الله تعالى عباده المؤمنين من النظر إليه عيانًا بأبصارهم في دار النعيم يوم القيامة، بلا إحاطة ولا كيفية، وهي أعظم لذة ينالونها بعد دخول الجنة.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]،فيها دليل صريح على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة.

وقال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فسّرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأن "الزيادة" هي النظر إلى وجه الله.

وقال جَلَّ وَعَلَا في شأن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، دلّ بالمفهوم أن المؤمنين يرونه، لأن أعظم عقوبة للكافر حرمانه من هذه الرؤية.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا

فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩]، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: «افْعَلُوا لاَ تَفُوتَنَّكُمْ»(١)، فيه تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، أي: وضوح الرؤية لا التشبيه بين الله والمخلوقات.

وعن صهيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ»(٢)، فيه أن أعظم نعيم في الجنة رؤية الله.

رابعًا: ثمرات الإيمان برؤية الله:

- أعظم باعث على شوق المؤمن للقاء الله.
- تثبيت القلب على الصبر والعمل الصالح.
- بيان فضل الله على عباده المؤمنين بما لا يخطر على قلب بشر.
- تنزيه الله عن تشبيه أقوال الجهمية والمعتزلة الذين أنكروا الرؤية.
- تحقيق معنى قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥].

خامسًا: الخلاصة: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة حق ثابت بالكتاب والسنة،

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٧٤٣٤)، ومسلم، برقم: (٦٣٣).

(٢) رواه مسلم، برقم: (١٨١)

وأجمع عليه السلف، وهو أعظم نعيم الجنة، وأجمل ما يناله أهلها، وهي رؤية بلا إحاطة ولا كيفية، كما يليق بجلال الله تعالى، ومن أنكرها فقد خالف صريح النصوص، وخالف إجماع الأمة.

الباب الثامن: الرسل والكتب

هذا الباب من أبواب العقيدة العظيمة، إذ لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى لهداية الخلق، ويؤمن بالكتب التي أنزلها الله نورًا وهدًى، والإيمان بالرسل والكتب أحد أركان الإيمان الستة التي لا يتم إيمان العبد إلا بها.

ويشتمل هذا الباب على أربعة مباحث:

المبحث الأول: وجوب الإيمان بالرسل.

المبحث الثاني: خصائص الرسالة المحمدية.

المبحث الثالث: القرآن كلام الله غير مخلوق.

المبحث الرابع: وجوب طاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.



المبحث الأول: وجوب الإيمان بالرسل

أولًا: التعريف:

الرسل: جمع رسول، وهو من أرسله الله إلى الناس ليبلغهم شرعه.

الإيمان بالرسل: التصديق الجازم بأن الله أرسل في كل أمة رسولًا، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، واجتناب ما نهوا عنه.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦]، فيها إثبات عموم بعثة الرسل في جميع الأمم.

وقال سبحانه: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[النساء: ١٦٥]، فيها إثبات إقامة الحجة على الخلق ببعثة الرسل.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [البقرة: ١١٩]، فيها بيان وظيفة الرسول: التبشير والإنذار.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[إبراهيم: ٤]، فيها بيان رحمة الله أن يبعث الرسول بلسان قومه ليبيّن لهم.

وقال سبحانه: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[الأحزاب: ٤٠]، فيها بيان بأن محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء

والمرسلين.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١)، فيه وجوب الإيمان برسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على جميع الناس.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»(٢)، فيه بيان عموم رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لكل الناس.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟

---

(١) رواه مسلم، برقم: (١٥٣).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٣٣٥) ومسلم، برقم: (٥٢١).

قَالَ: «فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»[١]، فيه بيان ختم النبوة برسالة محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ»[٢]، فيه تربية الأنبياء على التواضع والصبر قبل الرسالة.

رابعًا: ثمرات الإيمان بالرسل:

- **تصديق خبر الله ورسله** فيما جاءوا به.
- **الاقتداء بالأنبياء** في أقوالهم وأفعالهم.
- **إقامة الحجة على العباد**، فلا عذر لأحد بعد بعثة الرسل.
- **الاطمئنان لوعد الله**، إذ أن الرسل مبشرون بالخير ومنذرون من الشر.
- **توحيد الله حق التوحيد**، فإن دعوة الرسل واحدة: عبادة الله وحده.

خامسًا: الخلاصة: الإيمان بالرسل أصل عظيم من أصول العقيدة، وهو شرط لصحة الإيمان، ولا يُقبل دين أحد إلا إذا آمن بجميع الرسل وخاتمهم محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ومن جحد رسولًا واحدًا فقد كفر بالجميع.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٣٥٣٥)، ومسلم، برقم: (٢٢٨٦).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٢٢٦٢).

المبحث الثاني: خصائص الرسالة المحمدية

أولًا: التعريف:

الرسالة المحمدية: هي آخر رسالات السماء، أرسل الله بها محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليختم بها النبوة، ويهدي بها العالمين، فهي عامة شاملة خالدة، صالحة لكل زمان ومكان.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فيها عموم رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للعالمين ورحمةً للخلق أجمعين.

وقال سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، في الآية إثبات أن رسالته عامة لجميع الناس، لا تختص بقوم دون قوم.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، في الآية إنذار شامل لكل من بلغه القرآن إلى قيام الساعة.

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فيها بيان ختم النبوة برسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، فيها كمال الدين برسالته، فلا زيادة بعدها ولا نقصان.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»(١)، فيه خصائص جامعة لرسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»(٢)، فيه إثبات ختم النبوة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٣٣٥) ومسلم، برقم: (٥٢١).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٣٥٣٥)، ومسلم، برقم: (٢٢٨٦).

وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ»(١)، فيه بيان وضوح بلاغه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ وإنذاره للناس كافة.

وعن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»(٢)، من خصائصه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ الإيجاز في البيان، والنصر، وبسط سلطان دعوته.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»(٣)، فيه تأكيد لخصائص الرسالة المحمدية الجامعة.

رابعًا: أبرز خصائص الرسالة المحمدية:

العموم والشمول: بخلاف الرسالات السابقة التي كانت خاصة.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٦٤٨٢)، ومسلم، برقم: (٢٢٨٣).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٣٣٥) ومسلم، برقم: (٥٢١).

(٣) رواه البخاري، برقم: (٧٢٧٣)، مسلم، برقم: (٥٢٣).

الخاتمية: فلا نبي بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الخلود: بقاء الشريعة إلى قيام الساعة.

العالمية: للجن والإنس، للعرب والعجم.

كمال التشريع: فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا بينها.

اليسر والرحمة: دين وسط لا غلو فيه ولا جفاء.

الإعجاز: بكتاب خالد محفوظ وهو القرآن الكريم.

خامسًا: الخلاصة: الرسالة المحمدية رسالة عامة خالدة، جمعت خصائص لم تجتمع في رسالة قبلها، فهي رحمة للعالمين، ونعمة من الله على عباده، ومن أعرض عنها فقد حُرم الخير كله.

المبحث الثالث: القرآن كلام الله غير مخلوق

أولًا: التعريف:

القرآن: هو كلام الله جَلَّ وَعَلَا، أنزله على قلب نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بلفظه ومعناه، بواسطة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ليكون هدى ورحمة للعالمين.

غير مخلوق: أي: أنه صفة من صفات الله، وكلام الله قديم النوع(١)، والله يتكلم حقيقة بصوت وحرف متى شاء، لا يشبه كلامه كلام المخلوقين، ومن قال: إنه مخلوق فقد ضلّ وكفر.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، في هذه الآية صرّح الله أن القرآن كلامه، لا كلام غيره.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾[البقرة:٧٥]، وهذا نص بأن القرآن والتوراة

---

(١) قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٥/ ٣٨): وكلام الله تعالى قديم النوع، حادث الآحاد، ومعنى قديم النوع: أن الله لم يزل، ولا يزال متكلما ليس الكلام حادثا منه بعد أن لم يكن، ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه أي الكلام المعين المخصوص حادث لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بها شاء كيف شاء.

والإنجيل كلام الله، إلا أنه وقع عليها التحريف.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فيه أن الله كلم موسى حقيقة.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء:١٦٤]، وهذا فيه دليل على أن الله يتكلم حقيقة.

قال تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [مريم: ٥٢].

فيها أن الله نادى موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والنِّداء والمناجاة لا يكونان إلا بكلام مسموع، فإثباتهما لله عَزَّوَجَلَّ دليل قاطع على أنه يتكلم حقيقة.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف:٢٧].

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر: ٢٣]، نسب الله القرآن إلى نفسه على وجه التنزيل لا الخلق.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤]، تنزيل رب العالمين لا يُتصور أن يكون مخلوقًا.

وقال تعالى: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، نزوله بالحق من الله تعالى يدل على أنه صفة منه.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ**».(١)، فهذا نص صريح أن الله يُكلم عباده يوم القيامة بلا واسطة، وهذا يثبت صفة الكلام له سبحانه حقيقةً بلا تأويل.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: «**أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ**»(٢)، فيه أن القرآن كلام الله، لأنه لا يجوز الاستعاذة بالمخلوق، ومن استعاذ بغير الله أشرك، دل على أن كلام الله صفة منه.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»(٣)، فيه أن الله

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٧٤٤٣).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٧٠٩).

(٣) رواه البخاري، برقم: (٦٥٤٩)، ومسلم، برقم: (٢٨٢٩).

كلم أهل الجنة، وهذا فيه إثبات صفة الكلام لله تعالى.

وعَبْدَ اللهَّ بْنَ أُنَيْسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَحْشُرُ اللهُّ الْعِبَادُ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ»(١)، فيه إثبات كلام الله وأنه بصوت يسمع.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، فَقَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»(٢)، فيه إثبات صفة الكلام لله تعالى.

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُّ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ»(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَّ

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص: ٣٧١)، وفي خلق أفعال العباد (ص: ٩٨)، وابن أبي شيبة (٨٥١).

(٢) رواه أبو داود، برقم: (٤٧٣٤)، وابن ماجه، برقم: (٢٠١)، وأحمد، برقم: (١٥١٩٢).

(٣) رواه أبو داود، برقم: (٤٧٣٨)، والبخاري تعليقًا (٩/ ١٤١).

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ»(١)

رابعًا: أقوال السلف:

وقال عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَاللهَ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا.(٢)

قَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: وَقَالَ عُثْمَانُ: مَا أُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِلَّا أَنْظُرُ فِي كَلَامِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ –يَعْنِي: الْقِرَاءَةَ فِي الْمُصْحَفِ–.(٣)

وقال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال القرآن مخلوق فهو كافر(٤).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٧٤٨٥)، ومسلم، برقم: (٢٦٣٧).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٤١٤١).

(٣) حلية الأولياء (٧/ ٣٠٠)، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٤٧٩)، وفيه انقطاع.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٤).

كافر(١).

وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقيت أكثر من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر وخراسان إلى أن قال: فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء أن الدين قول وعمل، وأن القرآن كلام الله(٢).

خامسًا: ثمرات الإيمان بأن القرآن كلام الله:

- **تعظيم القرآن** لأنه صفة من صفات الله.
- **إحكام الاستدلال به** فلا يُعارض بكلام أحد.
- **سلامة المعتقد** من بدعة الجهمية والمعتزلة.
- **الثبات على منهج السلف.**
- **العمل به والتمسك بأحكامه.**

سادسًا: الخلاصة: القرآن كلام الله حقيقة غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به حقيقة، وأسمعه جبريل ثم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ثم الأمة. ومن زعم أنه مخلوق فقد ألحد في صفات الله، وخالف ما أجمع عليه السلف.

---

(١) الجامع لعلوم الإمام أحمد - العقيدة (٤/ ٥٤).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/ ٢١٧).

المبحث الرابع: وجوب طاعة الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

أولًا: التعريف:

الطاعة: هي الانقياد لأمر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ واجتناب نهيه، والالتزام بسنته باطنًا وظاهرًا.

وجوبها: إن الله أوجب طاعته كما أوجب طاعته سبحانه، فلا يتم الإيمان إلا بذلك، ومن عصى الرسول فقد عصى الله.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، فيها أن طاعة الرسول طاعة لله، لأنه مبلغ عنه.

وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢]، فيها أن الطاعة سبب الرحمة والفلاح.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور: ٦٣]، فيها التحذير من مخالفة أمره صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]، فيها الأمر بالأخذ بكل ما جاء به صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقال سبحانه: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فيها اتباع النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ شرط لنيل محبة الله.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»(١)، فيه أن طاعة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ سبب دخول الجنة، ومعصيته سبب الحرمان.

وعن العرباض بن سارية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ»(٢)، فيه وجوب التمسك بسنته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وسنة خلفائه.

وعن المقداد بن معدي كرب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ. وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٧٢٨٠).

(٢) رواه أبو داود، برقم: (٤٦٠٧)، وابن ماجه، برقم: (٤٤)، وأحمد، برقم: (١٧١٤٢)، والترمذي، برقم: (٢٦٧٦) وصححه الألباني صحيح الجامع، برقم: (٢٥٤٩).

حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ كَمَا حَرَّمَ اللهُ»(١)، فيه بيان أن سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحي يجب طاعته.

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ»(٢)، فيه دلالة على وضوح بلاغه ووجوب الاستجابة له.

رابعًا: أقوال السلف:

قال البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن(٣).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ رَدَّ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ(٤).

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (٢٦٦٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥١٨).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٧٢٨٣)، ومسلم، برقم: (٢٢٨٣).

(٣) شرح السنة للبربهاري (ص: ٣٥).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٧٨).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يكن له أن يدعها لقول أحد([١]).

خامسًا: ثمرات طاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

- **محبة الله**، فاتباعه شرط لها.
- **دخول الجنة**، والنجاة من النار.
- **الرحمة والرضوان** من الله.
- **الثبات على الحق** في زمن الفتن.
- **تحقيق الإيمان الكامل** الذي يرضاه الله لعباده.

سادسًا: الخلاصة: طاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ واجبة على كل مسلم، وهي من تمام طاعة الله، وسنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحي محفوظ يجب اتباعه كما يجب اتباع القرآن، ومن عصاه فقد أبى النجاة، ومن أطاعه فقد فاز برضوان الله والجنة.



(١) الروح (٢/ ٧٣٥).

الباب التاسع: الموقف من الصحابة والأئمة

هذا الباب من أهم أبواب العقيدة، إذ يتعلق بموقف أهل السنة والجماعة من خير القرون، ومن ولاة أمر المسلمين الذين أمر الله بالسمع والطاعة لهم في المعروف، والانحراف في هذا الباب أدى إلى ظهور فرق الغلو في الصحابة أو الطعن فيهم، وظهور فرق الخوارج والروافض والمرجئة وغيرهم.

ويشتمل هذا الباب على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مكانة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

المبحث الثاني: معتقد أهل السنة فيهم.

المبحث الثالث: السمع والطاعة لأئمة المسلمين.

المبحث الرابع: منهج أهل السنة في الفتن.

المبحث الأول: مكانة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

أولًا: التعريف:

الصحابة: هم الذين لَقُوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مؤمنين به، وماتوا على ذلك، إن تخللت ردة على الصحيح.

مكانتهم: هم أفضل الخلق بعد الأنبياء، اختارهم الله لصحبة نبيه ونقل الدين للأمة.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، في هذا وعدٌ صريح برضا الله عن الصحابة ومن تبعهم.

وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فيه هذه الآية إشارة إلى فضل أهل بيعة الرضوان من الصحابة.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، فيها وصف عام للصحابة بصفات العزة والرحمة.

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]، فيها بيان صدق المهاجرين وإيمانهم.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، فيها مدح الأنصار وحبهم لإخوانهم المهاجرين.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»(١)، فيه أن الصحابة أفضل هذه الأمة على الإطلاق.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ»(٢)، فيه فضل الصحابة، وأنه لا يُدرك بعمل غيرهم.

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»(٣)، فيه أن محبة الأنصار علامة إيمان.

وعن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالمِقْدَادَ، فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا» فَذَهَبْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٢٦٥٢)، ومسلم، برقم: (٢٥٣٣).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٣٦٧٣)، ومسلم، برقم: (٢٥٤١).

(٣) رواه البخاري، برقم: (١٧)، ومسلم، برقم: (٧٤).

الكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ بِمَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟» قَالَ: لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَصْطَنِعَ إِلَيْهِمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا، وَلاَ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ» فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(١)، فيه فضل أهل بدر على غيرهم من هذه الأمة.

رابعا: ثمرات الإيمان بمكانة الصحابة:

- **محبتهم والاقتداء بهم**.
- **سلامة القلب من الأحقاد**.
- **حفظ الدين**، لأنهم نقلة الوحي.
- **النجاة من البدع** التي طعنت فيهم.
- **الثبات على عقيدة أهل السنة**.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٣٩٨٣)، ومسلم، برقم: (٢٤٩٤).

خامسا: الخلاصة: الصحابة هم صفوة الأمة، وخير القرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه، وحبهم إيمان، وبغضهم نفاق، فمن لزم طريقتهم سلم، ومن تنقصهم هلك.

المبحث الثاني: معتقد أهل السنة في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

أولًا: التعريف:

معتقد أهل السنة: هو ما أجمع عليه السلف من حب الصحابة، وتوقيرهم، والإقرار بفضلهم، والكف عن الخوض فيما شجر بينهم، والإمساك عن سبهم أو انتقاصهم.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فيها دليل على فضلهم ووجوب محبتهم.

وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فيها دليل على أن الله رضى عن الصحابة في بيعة الرضوان.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، فيها مدح الله للصحابة، وبيان صفاتهم العظيمة.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]، فيها وجوب الاستغفار للصحابة، لا سبّهم ولا الطعن فيهم.

وقال سبحانه: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، فيها وعد الله الصحابة

جميعًا بالجنة.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ»(١)، فيه حرمة سب الصحابة، وبيان فضلهم.

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا»(٢)، فيه وجوب الإمساك عما شجر بين الصحابة.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»(٣)، فيه أن محبة الأنصار علامة الإيمان.

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالمِقْدَادَ، فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا» فَذَهَبْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٣٦٧٣)، ومسلم، برقم: (٢٥٤١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٠٤٤٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٧٥).

(٣) رواه البخاري، برقم: (١٧)، ومسلم، برقم: (٧٤).

لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ بِمَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟» قَالَ: لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَصْطَنِعَ إِلَيْهِمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا، وَلاَ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ» فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(١)، فيه أن لأهل بدر من الصحابة منزلة خاصة.

رابعًا: أقوال السلف:

قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ اللهُ: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ(٢).

وقال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ سَبَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٣٩٨٣)، ومسلم، برقم: (٢٤٩٤).

(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ٤٩).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَلَيْسَ لَهُ فِي الْفَيْءِ حَقٌّ(١).

وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنِ انْتَقَصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَبْغَضَهُ لِحَدَثٍ كَانَ مِنْهُ أَوْ ذَكَرَ مَسَاوِئَهُ كَانَ مُبْتَدِعًا حَتَّى يَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا(٢).

خامسًا: ثمرات معتقد أهل السنة في الصحابة:

- **المحبة والموالاة** للصحابة جميعًا.
- **الاقتداء بهم** في الدين والعمل.
- **الكف عن الخوض فيما شجر بينهم**.
- **ردّ بدعة الرافضة والخوارج**.
- **الترضي عنهم والاستغفار لهم** كما أمر الله.

سادسًا: الخلاصة: معتقد أهل السنة والجماعة في الصحابة هو محبتهم وتوقيرهم والترضي عنهم، والكف عن سبهم أو انتقاصهم، لأنهم نقلة الدين، وخير القرون، رضي الله عنهم وأرضاهم.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٧/ ١٣٤٤).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (١/ ١٨٢).

المبحث الثالث: السمع والطاعة لأئمة المسلمين

أولًا: التعريف:

الأئمة: هم ولاة أمر المسلمين من الخلفاء والسلاطين والأمراء والرؤساء ومن في حكمهم.

السمع والطاعة: هو الالتزام بطاعة ولاة الأمر في المعروف، واجتناب الخروج عليهم، والصبر على جورهم، ما لم يأمروا بمعصية الله.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، فيها أمرٌ صريح بطاعة أولي الأمر مع طاعة الله ورسوله.

وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣]، فيها بيان مكانة أولي الأمر في معالجة شؤون الأمة.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فيها أن الطاعة المطلقة لله ولرسوله، وما دون ذلك مقيد بالشرع.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول:

«عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»(١)، فيه أن الطاعة في المعروف، ولا طاعة في المعصية.

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فَجَاءَ اللهُ بِخَيْرٍ، فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»(٢)، فيه الأمر بالصبر على جور الأئمة وعدم الخروج عليهم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ»(٣)، فيه أن طاعة الأمير من

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٧١٤٤)، ومسلم، برقم: (١٨٣٩)

(٢) رواه البخاري، برقم: (٣٦٠٦)، ومسلم، برقم: (١٨٤٧).

(٣) رواه البخاري، برقم: (٧١٣٧)، ومسلم، برقم: (١٨٣٥).

طاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»(١)، فيه بيان أن الطاعة لا تتعلق بنسب الحاكم بل بسلطانه الشرعي.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٢)، فيه أن الصبر على ما يكره المسلم من أمور الولاة وعدم الخروج.

رابعًا: أقوال السلف:

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا(٣).

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان(٤).

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٧١٤٢).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٧٠٥٤)، ومسلم، برقم: (١٨٤٩).

(٣) متن العقيدة الطحاوية (ص: ٤٧).

(٤) شرح السنة للبربهاري (ص: ١١٣).

خامسًا: ثمرات السمع والطاعة لأئمة المسلمين:

- **حفظ الجماعة** ووحدة الصف.
- **درء الفتن والدماء** بين المسلمين.
- **تحقيق الأمن والاستقرار**.
- **نيل أجر الصبر والطاعة**.
- **السلامة من ميتة الجاهلية**.

سادسًا: الخلاصة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو سبب لاجتماع الكلمة وصلاح الأمة، ما لم يأمروا بمعصية، فإن أمروا بها فلا سمع ولا طاعة.

المبحث الرابع: منهج أهل السنة في الفتن

أولًا: التعريف:

الفتن: هي الابتلاءات والاختبارات التي تقع بين المسلمين، سواء في الدين أو الدنيا، وتشمل اختلاف القلوب واضطراب الأحوال، ووقوع القتال بين أهل الإسلام.

منهج أهل السنة: هو لزوم الكتاب والسنة، والتمسك بالجماعة، والصبر، وترك الخوض في الدماء، والدعاء للمسلمين بالسلامة.

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]، ففي هذه الآية تحذير من الفتن، لأنها تعم إذا وقعت.

وقال سبحانه: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والاعتصام بالوحي سبيل النجاة من الفتن.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، فيها النهي عن التنازع؛ لأنه من أعظم أسباب الفتن.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، فيها ذم التفرق والاختلاف المؤدي للفتنة.

ثالثًا: أدلة السنة النبوية:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ

فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ»(١)، فيه الحث على لزوم البيوت وقت الفتن.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخِرَ مِنْهُمَا»(٢)، فيه سدّ باب النزاع والفرقة.

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ،

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٣٦٠١)، ومسلم، برقم: (٢٨٨٦).

(٢) رواه مسلم، برقم: (١٨٥٣).

حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»(١)، فيه بيان أن الفتن ستموج في الأمة، ومنهج النجاة فيها التمسك بالوحي.

وعن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ»(٢)، فيه أن التمسك بالسنة وقت الفتن سبيل السلامة.

وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا»(٣)، فيه وجوب الإنكار القلبي

(١) رواه البخاري، برقم: (٣٦٠٦)، ومسلم، برقم: (١٨٤٧).

(٢) رواه أبو داود، برقم: (٤٦٠٧)، وابن ماجه، برقم: (٤٤)، وأحمد، برقم: (١٧١٤٢)، والترمذي، برقم: (٢٦٧٦)، وصححه الألباني صحيح الجامع، برقم: (٢٥٤٩).

(٣) رواه مسلم، برقم: (١٨٥٤).

عند العجز، وعدم متابعة أهل الفتن.

رابعًا: أقوال السلف:

قال حذيفة بن أَسِيْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْ كَابْنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرَ فَيُرْكَبَ، وَلَا ضَرْعَ فَيُحْلَبَ(١).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُمَا السَّبِيلُ فِي الْأَصْلِ إِلَى حَبْلِ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَإِنَّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ(٢).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: اسْتَوْصُوا بِأَهْلِ السُّنَّةِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ غُرَبَاءُ(٣).

خامسًا: ثمرات لزوم منهج أهل السنة في الفتن:

- **سلامة الدين** من التلوث بالباطل.
- **حفظ الدماء والأعراض.**
- **الاعتصام بالجماعة** والبعد عن التفرق.
- **النجاة من الانزلاق وراء الأهواء.**
- **الرضا بقضاء الله والصبر على البلاء.**

سادسًا: الخلاصة: منهج أهل السنة في الفتن هو لزوم الكتاب والسنة والجماعة،

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٥٧٤).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٢١).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٧١).

والصبر، والدعاء، وترك القتال والمراء، والبعد عن الخوض في الدماء، فمن سلك هذا المنهج نجا، ومن خالفه وقع في الفتن والمهالك.



الباب العاشر: شبهات وردود

هذا الباب مخصص لعرض أهم الشبهات التي أثارها المخالفون في أبواب العقيدة، والرد عليها بالكتاب والسنة وأقوال السلف، والمقصود منه بيان بطلان أقوال أهل البدع، وتثبيت القلوب على الحق، وإيضاح منهج أهل السنة والجماعة.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شبهات في باب الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: شبهات في باب الإيمان.

المبحث الثالث: شبهات في باب القدر.



المبحث الأول: شبهات في باب الأسماء والصفات

أولًا: تمهيد:

من أكثر الأبواب التي ولج منها أهل البدع باب الأسماء والصفات، حيث تركوا سبيل السلف، فسلكوا التعطيل أو التمثيل أو التحريف، فمنهم من شبَّه الله بخلقه، ومنهم من عطَّل أسماءه وصفاته، ومنهم من أوَّلها بغير ما أراد الله ورسوله، وأهل السنة وسط بين هؤلاء.

ثانيًا: أبرز الشبهات والرد عليها من القرآن والسنة:

الشبهة الأولى: التشبيه والتمثيل:

قالوا: إثبات الصفات يستلزم تشبيه الله بالمخلوق.

والجواب: من القرآن، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

وجه الدلالة: نفي المماثلة عن الله من كل وجه، ثم إثبات السمع والبصر له، فدل على أن إثبات الصفات لا يعني التشبيه.

وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾ [الإخلاص: ٤].

وجه الدلالة: نفي المثيل والمساوي عن الله على الإطلاق، مع ثبوت أسمائه وصفاته.

وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

وجه الدلالة: نفي المسامي لله وهو بمعنى المماثل له سبحانه، مع إثبات أنه الرب المعبود المتصف بالكمال

ومن السنة الرد عليهم ما جاء عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنَّ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ، لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ، لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْه، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ، لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا؟ فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا يَصْرِينِي مِنْكَ، أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟»، فَضَحِكَ

ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟، فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ». رواه مسلم (١٨٨)**وجه الدلالة:** هذا الحديث فيه إثبات صفة الضحك لله تعالى على الحقيقة كما يليق بجلاله، وقد أثبتها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وبيّنها للصحابة من غير أن يتعرض لنفي ظاهرها أو تأويلها، ثم ضحك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تصديقًا لذلك، ولو كان إثبات الضحك لله يلزم منه التشبيه بالمخلوقين لكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ – وهو أعلم الخلق بالله– أول المشبِّهين! وحاشاه من ذلك، فدلّ هذا على أن إثبات الصفات كما جاءت لا يقتضي تشبيهًا، بل الواجب إمرارها كما وردت مع الإيمان بأن الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

والخلاصة: أن إثبات الصفات على الحقيقة لا يلزم منه التشبيه، لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أثبتنا لله ذاتًا حقيقية لا تشبه ذوات المخلوقين، فكذلك نثبت له صفات حقيقية لا تشبه صفاتهم.

الشبهة الثاني: التعطيل:

قالت الجهمية والمعتزلة(١): إثبات الصفات يستلزم التشبيه، فتعين نفيها وتعطيل النصوص عنها، فأنكروا صفات الله كالكلام والوجه واليدين والعلو

(١) انظر: التعريف بهم في الباب الحادي عشر.

وغير ذلك.

والرد عليهم كما يلي:

نقول: إن إثبات الصفات قد دل عليها النقل والعقل والفطرة، أما النقل فمنها:

قوله تعالى -في إثبات صفة الكلام ولا شك أن المتكلم أكمل من الأخرس-: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وجه الدلالة: هاتان الآيتان صريحتان في أن الله كلّم موسى حقيقة، وجاء المصدر ﴿تَكۡلِيمٗا﴾ للتوكيد ونفي المجاز، ولو كان الكلام مجازًا لما أكده بالمصدر.

وقال تعال -مثبت صفة الوجه-: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن: ٢٧].

وجه الدلالة: الآية نص في إثبات صفة الوجه لله، مقرونًا بالجلال والإكرام، ووصفه بقول: ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾[الرحمن: ٧٨] و﴿ذُو﴾ صفة لوجه، والدليل الرفع، ولو كانت صفة للرب، لقال ذي الجلال كما قال في نفس السورة: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن: ٧٨]، فلما قال: ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾، علمنا أنه وصف للوجه، وقد اتفق السلف على إثبات الوجه بلا تأويل ولا تمثيل. فالمعنى واضح والكيف مجهول عند الله.

صفة اليدين: قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وجه الدلالة: الآيتان تثبتان اليدين صراحة، وإضافتهما إلى الله دليل على أنهما صفتان حقيقيتان له، ودليل ذلك التثنية إذ اتفق أهل اللغة على أن التثنية لا تكون إلا لما هو حقيقة.

السمع قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ [المجادلة: ١].

وجه الدلالة: أن الله ذكر فيها صفة السمع مرتين، ووصفه بأنه يسمع كلام التي تشتكي إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، حتى قال عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ: «**ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا**». رواه البخاري، برقم: (٤٢٠٥)، ومسلم، برقم: (٢٧٠٤)

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

وجه الدلالة: جمع بين نفي المثلية وإثبات الصفات، فالتنزيه لا يكون بالتعطيل، بل بإثبات بلا تشبيه.

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤].

وجه الدلالة: نص صريح على إثبات صفة الكلام لله، ومن عطّلها فقد ردّ نصًّا قطعيًا.

وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

وجه الدلالة: الاستواء ثابت بالنصوص المتواترة، ومن عطّله فقد أبطل نصوصًا كثيرة، والسلف أجمعوا على إثباته بلا كيف.

ثانيًا: من السنة:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(١).

وجه الدلالة: إثبات النزول لله، وهو صفة فعلية، ومن عطّلها فقد خالف النص الصحيح.

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(٢)

وجه الدلالة: إثبات صفات الأفعال، كخفض القسط ورفعه، وهي صفات

---

(١) رواه البخاري، برقم: (١١٤٥)، ومسلم، برقم: (٧٥٨).

(٢) رواه مسلم، برقم: (١٧٩).

حقيقية لا يصح تعطيلها.

وعن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩]، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: «افْعَلُوا لاَ تَفُوتَنَّكُمْ»(١)

وجه الدلالة: الحديث إثبات صفة الرؤية لله يوم القيامة، وتعطيلها تكذيب للحديث المتواتر.

وعن بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنَّ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ

(١) رواه البخاري، برقم: (٧٤٣٤)، ومسلم، برقم: (٦٣٣).

تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟»، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟، قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ» (١)

وجه الدلالة: الحديث فيه إثبات صفة الكلام لله، وهي من أوضح الصفات، وتعطيلها تعطيل للقطعيات.

وعن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ،

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٦٥٧١)، مسلم، برقم: (١٨٧).

يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(١)

وجه الدلالة: إثبات صفة الوجه لله، وتعطيلها تعطيل لنص صريح صحيح.

وأما العقل:

فيقال: إن صفة الحياة يدل عليها العقل، فإن أي عاقل يعلم أن الإله لا بد أن يكون حيًا؛ لأنه لا يتصور إله معبود وهو ميت، وكذلك العلم والقدرة؛ فإنه لا يتصور أن يكون إله جاهل أو عاجز، وهذا بالبداهة يعرفه أول ما تعرض عليه، وهو ما يسميه العلماء، الضرورة العقلية.

وأما الفطرة:

فإن النفوس مجبولة على دعاء الله، وأنها حين تدعو تتجه جهة العلو، وهذا فيه ما يدل على اتصاف الله سبحانه بصفات منها العلو، إذ لو لم يكن في العلو لما ارتفع إليه أفئدتهم فطرة، ومنها السمع، إذ لو لم يكن سميعا لما دعي، فإن الأصم لا يدعا، ومنها القدرة، إذ لو لم يكن قادرا على قضاء جوائهم لما دعوه، ومنها الحياة، إذ لو كان ميتًا لما دعي، والعلم وغيرها.

الخلاصة: المعطلة ضلّوا حين توهّموا أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه ففروا مما

---

(١) رواه مسلم، برقم: (١٧٩).

توهموه إلى التعطيل، فنفوا ما أثبته الله لنفسه، وأهل السنة وسط: يثبتون الصفات بلا تمثيل، وينزهون بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

الشبهة الثالثة: التأويل الباطل:

قالوا: الاستواء معناه: الاستيلاء، واليد تعني: القدرة، وهكذا.

والجواب قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾ [طه: ٥]، والاستواء معلوم عند العرب وهو العلو والارتفاع، ولا يُصرف عن معناه إلا بدليل، وهو بلا كيف.

وقال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة [١].

الرد على من أول اليد بالقدرة أو النعمة، أن هذا التأويل مخالفة لظاهر النصوص:

فاليد مذكورة في القرآن بلفظ التثنية كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ولو كان المراد باليد القدرة لقال: بقدرتي، والقدرة لا تُثنّى ولا تُجمع، فهي صفة واحدة، فصرف اليد إلى القدرة تعطيل للفظ ومعناه معًا.

---

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٠٤)، والعلو للعلي الغفار للذهبي (ص١٠٣)، والتمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٠)

ومما يرد مقالتهم التفريق بين صفة اليد وصفة القدرة:

فالله تعالى أثبت لنفسه القدرة في مواضع كثيرة من كتابه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٥﴾ [النور: ٤٥]، فلو كانت اليد هي القدرة، للزم التكرار المحض، ولما كان هناك فائدة في تخصيص اليدين بالذكر، وهذا باطل، لأن القرآن منزه عن الحشو واللغو.

السياق دليل على بطلان التأويل:

ففي قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص: ٧٥]، كان الاحتجاج على إبليس بخصوصية خلق آدم باليدين، ولو كانت اليد بمعنى القدرة أو النعمة، لما كان في ذلك حجة، لأن جميع الخلق مخلوقون بقدرة الله، فلماذا يختص آدم بالذكر؟

وقد أجمع أئمة السلف على إثبات اليدين صفة لله على ما يليق به، فقالوا: لو كان معنى اليد النعمة لكان الخلق كلهم مشتركون فيها، فلا ميزة لآدم.

قالوا: فتأويل اليد بالقدرة تحريف للكلم عن مواضعه، ومما يرد عليهم:

أن اليد في لسان العرب حقيقة في العضو المعلوم، وقد تستعمل مجازًا للقوة أو النعمة، لكن الأصل الحقيقة، والله تعالى أخبر أن له يدين، فوجب إثباتهما كما ورد، بلا تحريف ولا تمثيل، مع نفي المماثلة بقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

الخلاصة: اليدان صفة ثابتة لله تعالى على الحقيقة بلا تكييف ولا تمثيل، ومن أولها بالقدرة أو النعمة فقد عطل النصوص، وجعل القرآن عبثًا، وخالف سبيل

السلف.

الشبهة الرابعة: القول بخلق القرآن:

قالوا: القرآن مخلوق كسائر المخلوقات.

والجواب قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، فهو كلام الله، والكلام صفة للمتكلم، والصفة غير مخلوقة.

الشبهة الخامسة: نفي الصفات الخبرية(١):

كقولهم: اليد، والوجه صفات لا تليق بالله.

والجواب: قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فالله أثبت لنفسه يدًا ووجهًا يليقان بجلاله بلا تمثيل ولا تعطيل.

وعن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١) **الصفات الخبرية**: هي الصفات التي ثبتت لله في الكتاب أو السنة، ولا يُعرف إثباتها إلا عن طريق الخبر (الوحي)، وليست مما يدرك بالعقل استقلالًا، ولهذا سُمِّيت: خبرية، لاعتمادنا فيها على خبر الله ورسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

ضابط الصفات الخبرية: هي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع، والخبر عن الله ورسوله، ومنها الوجه والاستواء وغيرهما، وهي تنقسم إلى قسمين: صفات ذاتية: كالوجه واليد، وصفات فعليه، كالنزول والغضب والفرح.

بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(١)، ففيه إثبات صفة الوجه على الحقيقة.

قال النفاة: الصفات الخبرية -كالوجه واليدين والعينين والساق والقدم- يلزم من إثباتها التشبيه بالمخلوق، فوجب نفيها أو تأويلها بالمجاز.

الجواب على هذه الشبهة:

أولًا: من القرآن:

قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧].

وجه الدلالة: أثبت الله لنفسه صفة الوجه على وجه الكمال، ونفاة الصفات أنكروا نصًا صريحًا في القرآن.

وقال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وجه الدلالة: صرّح بإثبات اليدين لله، والآية رد على من عطّلها أو أولها بالقوة أو النعمة.

وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩].

وجه الدلالة: أثبت لنفسه العين، وهي صفة خبرية ثابتة، ولا يلزم منها تشبيه،

---

(١) رواه مسلم، برقم: (١٧٩).

إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورى: ١١].

قال ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٩٧): واجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالق البارئ لنفسه، من العين، وغير مؤمن من ينفي عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ما قد ثبته الله في محكم تنزيله، ببيان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ الذي جعله الله مبينا عنه، عز وجل، في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فبين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أن لله عينين، فكان بيانه موافقا لبيان محكم التنزيل، الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

وجه الدلالة: أن الله ذكر في الآية صفة الساق له سبحانه، وأهل السنة يمرّونها كما جاءت بلا كيف ولا تمثيل، بخلاف من أنكرها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ﴾ [الفتح: ١٠].

وجه الدلالة: أن الله سبحانه ذكر في الآية أن يده سبحانه فوق أيدي الذين بايعوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، ومن أنكرها فقد عطّل صريح القرآن.

ثانيًا: من السنة:

وعن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ

-وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(١).

وجه الدلالة: الحديث نصّ على صفة الوجه لله، وإثباته واجب بلا تشبيه.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَّ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(٢).

وجه الدلالة: إثبات الأصابع لله على ما يليق بجلاله، ومن أنكرها رد حديثًا صحيحًا.

وعن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩]، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: «افْعَلُوا لاَ تَفُوتَنَّكُمْ»(٣)

---

(١) رواه مسلم، برقم: (١٧٩).

(٢) رواه البخاري، برقم: (١٠٠)، ومسلم، برقم: (٢٦٧٣).

(٣) رواه البخاري، برقم: (٧٤٣٤)، ومسلم، برقم: (٦٣٣).

وجه الدلالة: الرؤية تستلزم وجود ذات بصفات، منها الوجه، وهو ما أنكره النفاة.

عَبْدِ اللهَّ بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللهَّ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]. (١)

وجه الدلالة: الحديث نصّ في إثبات الأصابع، وتعطيلها تعطيل لحديث متفق عليه.

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»(٢)

وجه الدلالة: نصّ على صفة القدم لله، وهي صفة خبرية يجب إثباتها كما وردت.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٨١١)، ومسلم، برقم: (٢٧٨٦).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٦٦٦١)، ومسلم، برقم: (٢٨٤٨).

الخلاصة: نفي الصفات الخبرية باطل؛ لأنها ثابتة بالقرآن والسنة وإجماع السلف، وأهل السنة يثبتونها كما جاءت بلا تكييف ولا تمثيل، ويفرّون من التشبيه كما يفرّون من التعطيل، فيقولون: لله وجه ويدان وعين وساق وقدم كما يليق بجلاله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

ثالثًا: منهج أهل السنة في هذا الباب:

- **إثبات ما أثبته الله لنفسه** من غير تحريف ولا تعطيل.
- **تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين** بلا تمثيل ولا تكييف.
- **الوقوف عند نصوص الوحيين.**
- **التسليم والإيمان** بما جاء به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

رابعًا: الخلاصة: أهل السنة وسط بين أهل التعطيل الذين نفوا الصفات، وأهل التمثيل الذين شبَّهوا الله بخلقه، فأثبتوا ما أثبته الله لنفسه وأمَروا بها أمر، بلا زيادة ولا نقصان، وهم بذلك أتباع سبيل المؤمنين.

المبحث الثاني: شبهات في باب الإيمان

أولًا: تمهيد:

باب الإيمان من أكثر الأبواب التي وقع فيها الخلاف بين الفرق، حتى تفرقت الأمة إلى مرجئة وخوارج ومعتزلة وغيرهم، وكل فرقة أحدثت في هذا الباب شبهة، وخالفوا بها أهل السنة والجماعة الذين يقولون: **الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.**

ثانيًا: أبرز الشبهات والرد عليها من القرآن والسنة:

أولا: شبهة المرجئة:

ذهبت المرجئة إلى أنّ الإيمان هو مجرد المعرفة أو التصديق بالقلب، وزعموا أنّ العمل ليس داخلًا في مسماه، فلا يضر عندهم ترك الفرائض أو فعل الكبائر ما دام القلب مصدِّقًا، وهذا مخالف لما جاء في القرآن والسنة وأقوال السلف، الذين أجمعوا على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

أولًا: الرد عليهم من القرآن:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧﴾ [البينة: ٧].

وجه الدلالة: جمع الله بين الإيمان والعمل الصالح، فجعل كمال الإيمان لا يتحقق إلا بالعمل، ولو كان التصديق وحده كافيًا لما احتيج لذكر العمل في عشرات المواضع، مما يدل على بطلان مذهب المرجئة.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ

ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

وجه الدلالة: بيّن الله أنّ الدين الحق ليس مجرد اعتقاد، بل عبادةٌ وإقامةُ صلاةٍ وإيتاءُ زكاة، وهذا كله عمل بالجوارح، فالاقتصار على التصديق إبطال لحقيقة الدين.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

وجه الدلالة: فُسِّرَ الإيمان هنا بالصلاة إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة، فسمّى الله الصلاة إيمانًا، وفي هذا ردّ صريح على المرجئة الذين يخرجون الأعمال من مسمى الإيمان.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وجه الدلالة: عرّف الله المؤمنين بأعمال القلوب والجوارح معًا: وجل القلب، التوكل، الصلاة، والإنفاق، فلو كان الإيمان تصديقًا فقط لما احتيج لهذه الأوصاف العملية، ثم وصف من قام بكل ذلك بالمؤمن الحق.

وقال تعالى: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ [الفتح: ٤].

وجه الدلالة: دلّت الآية على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والزيادة تكون بالتصديق وفي العمل واليقين، وهذا يهدم قول المرجئة بأن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص.

ثانيًا: الرد عليهم من السنة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»(١)

وجه الدلالة: الحديث نص على أن الإيمان شُعب، منها قول، ومنها عمل، ومنها خُلُق، فكيف يقتصر على التصديق فقط؟

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»(٢)

وجه الدلالة: قرن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين الشهادتين والعمل (الصلاة والزكاة) في عصمة الدماء والأموال، فلو كان مجرد الإقرار كافيًا لما اشترط هذه الأعمال.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٩)، ومسلم، برقم: (٣٥).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٢٥)، ومسلم، برقم: (٢٢).

السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(١)

وجه الدلالة: نفى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ كمال الإيمان عن العاصي حال مباشرته المعصية، ولو كان الإيمان تصديقًا مجردًا لما نقص بالمعصية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ قَالَ: «الْإِيمَانُ قَيَّدَ الْفَتْكَ لَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ»(٢).

وجه الدلالة: جعل الإيمان ضابطًا للسلوك ومُقيّدًا للجوارح عن العدوان، وهذا لا يكون بالتصديق فقط، بل بما يتبعه من عمل وخلق.

وعن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(٣)

وجه الدلالة: جعل الإنكار مراتب من العمل، وكلها من الإيمان، حتى إنكار القلب عُدَّ من أضعف الإيمان. وهذا يثبت أن الأعمال جزء من مسماه.

الخلاصة: المرجئة أخرجوا العمل من مسمى الإيمان، فخالفوا نصوص الوحيين

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٥٥٧٨)، ومسلم، برقم: (٥٧).

(٢) رواه أبو داود، برقم: (٢٧٦٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود ط غراس» (٨/ ١١٧)، وفي «صحيح الجامع» (١/ ٥٤١).

(٣) رواه مسلم، برقم: (٥٢).

وإجماع السلف، والحق الذي عليه أهل السنة: أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فمن ترك العمل بالكلية لم يكن مؤمنًا حقًا.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكَانَ الْإِجْمَاعُ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَنْ أَدْرَكْنَاهُمْ يَقُولُونَ: إنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ لَا يُجْزِئُ وَاحِدٌ مِنْ الثَّلَاثَةِ إلَّا بِالْآخَرِ(١).

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ(٢).

وقال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكَانَ مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ؛ الْعَمَلُ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ مِنْ الْعَمَلِ؛ وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ اسْمٌ يَجْمَعُ كَمَا يَجْمَعُ هَذِهِ الْأَدْيَانَ اسْمُهَا وَيُصَدِّقُهُ الْعَمَلُ. فَمَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَعَرَفَ بِقَلْبِهِ وَصَدَّقَ بِعَمَلِهِ فَتِلْكَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يُصَدِّقْ بِعَمَلِهِ كَانَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٦).

ثانيًا: شبهة الخوارج:

ذهبت الخوارج إلى أن مرتكب الكبيرة كافر مخلّد في النار، واستدلوا بآيات الوعيد، فغلوا في التكفير، وخالفوا النصوص المحكمة وإجماع السلف.

أولًا: الرد عليهم من القرآن:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]

وجه الدلالة: الآية نصٌّ في أن الشرك وحده لا يُغفر، إن مات وهو مشرك، وما عداه من الكبائر فهو تحت المشيئة، فمن شاء الله عفا عنه ومن شاء عذّبه، ولو كان مرتكب الكبيرة كافرًا كما تزعم الخوارج لما جعله الله في دائرة المشيئة.

وقال تعالى: إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾

وجه الدلالة :دلّت الآية على أن الذنوب ليست كلها كبائر، وأن اجتناب الكبائر سبب لتكفير الصغائر. فلو كان مرتكب الكبيرة كافرًا لما وعده الله بالتكفير والجنّة.

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وجه الدلالة: جعلت الآية للعبد حسنات وسيئات، يُجزى على كلٍّ منهما، ولم تسلبه الإيمان بالمعصية، بل جعلت الشر جزءًا من ميزانه لا سببًا لكفره.

وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: ١٠٢].

وجه الدلالة: وصفهم الله بالاعتراف والتوبة، وقرن عملهم الصالح بالسيئ، ووعدهم بالعفو، فلو كانت الذنوب كفرًا مخرجًا لما بقوا أهل رجاء.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

وجه الدلالة: ناداهم الله بلفظ العبودية رغم إسرافهم في الذنوب، وأخبر أنه يغفرها جميعًا إذا تابوا، وهذا يبطل دعوى الخوارج أن الكبيرة كفر.

ثانيًا: الرد عليهم من السنة:

عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**» وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: هَذَا عِنْدَ المَوْتِ، أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، غُفِرَ لَهُ(١).

وجه الدلالة: الحديث صريح أن من مات على التوحيد دخل الجنة، ولو كان مذنبًا، فلو كان مرتكب الكبيرة كافرًا لما صح هذا الوعد.

(١) رواه البخاري، برقم: (٥٨٢٧)، ومسلم، برقم: (٩٤).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»(١)

وجه الدلالة: نص الحديث على خروج الموحد من النار بعد دخوله، وهذا ردّ على الخوارج الذين يقولون بالخلود.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»(٢)

وجه الدلالة: جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أهل الكبائر من أمته المشمولين بشفاعته، ولو كانوا كفارًا لما دخلوا في شفاعته.

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٧٥٦٣)، ومسلم، برقم: (١٩٣).

(٢) رواه أبو داود، برقم: (٤٧٣٩)، والترمذي، برقم: (٢٤٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٣٧١٤).

عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»(١)

وجه الدلالة: الحديث دلّ على أن مرتكب الذنب تحت المشيئة، فإما أن يُغفر له أو يعذَّب، ولم يخرجه من الإسلام.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(٢)

وجه الدلالة: الحديث يثبت أن الظالم يبقى له حسنات تُؤخذ منه، ولو كان كافرًا لما كان له حسنات معتبرة.

الخلاصة: مذهب الخوارج باطل، إذ نصوص القرآن والسنة وأقوال السلف كلها تدل على أن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، تحت مشيئة الله، لا يُخرج من الملة ولا يُخلّد في النار، بخلاف ما زعمه الخوارج.

---

(١) رواه النسائي، برقم: (٤٦١)، أبو داود، برقم: (٤٢٥)، وابن ماجه، برقم: (١٤٠١)، وأحمد، برقم: (٢٢٦٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٣٢٤٣).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٥٨١).

ثالثًا: شبهة المعتزلة:

ذهبت المعتزلة إلى أن مرتكب الكبيرة لا يُسمى مؤمنًا ولا كافرًا، بل هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، وأما في الآخرة فهو مخلّد في النار، فابتدعوا قسمة ثالثة لم يأت بها الشرع، وخالفوا نصوص الوحي، وأقوال السلف الصالح.

أولًا: الرد عليهم من القرآن:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢].

وجه الدلالة: الآية حصرت الخلق في فريقين: كافر ومؤمن، ولم تذكر منزلة ثالثة، وهذا يبطل دعوى المعتزلة ويبيّن أن قسمة الإيمان والكفر ثنائية لا ثالث لها.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ [يونس: ٢٧].

وجه الدلالة: جعل الله جزاء السيئات بمثلها، ولم يحكم على أصحابها بالكفر ولا الخلود في النار ما داموا موحّدين، وهذا خلاف قول المعتزلة.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ [النساء: ٤٠].

وجه الدلالة: أثبت الله بقاء الحسنات حتى مع وجود السيئات، وهذا يردّ على المعتزلة الذين يجعلون مرتكب الكبيرة ساقط الإيمان لا حسنات له.

وقال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٢].

وجه الدلالة: سمّى الله هؤلاء العصاة مؤمنين خلطوا صالحًا بسيئ، ولم يخرجهم من الإيمان، بل جعلهم أهل توبة ورجاء.

ثانيًا: الرد عليهم من السنة:

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ»(١).

وجه الدلالة: من شهد الشهادتين فهو مسلم ناجٍ من الخلود في النار، ولا منزلة بينهما.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»(٢).

وجه الدلالة: الحديث أطلق الوعد بالجنة لكل موحّد، ولم يُعلّق على منزلة مبتدَعة ثالثة، وهذا ينقض مذهب المعتزلة.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٩).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٧٤٨٧)، مسلم، برقم: (٩٤).

وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»(١).

وجه الدلالة :الحديث أثبت وجود الإيمان ولو قليلًا عند من دخل النار، فكيف يُقال إنه لا مؤمن ولا كافر؟ بل هو مؤمن ناقص الإيمان.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ»، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا، أَوِ الحَيَاةِ - شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً»(٢).

وجه الدلالة :جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أهل الكبائر من الموحدين يخرجون من النار، وهذا ينفي المنزلة المبتدعة التي قالت بها المعتزلة.

الخلاصة: المعتزلة ابتدعوا قسمة لم ينزل الله بها سلطانًا، فجعلوا مرتكب الكبيرة في منزلة بين الكفر والإيمان، ثم ألحقوه بالخلود في النار، وهذا مخالف للنصوص الصريحة، وأهل السنة يقولون: مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذّبه، ومآله إلى الجنة ما دام موحِّدًا.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٤)، مسلم، برقم: (١٩٣).

(٢) رواه البخاري، برقم: (١٨٤)، ومسلم، برقم: (٢٢).

المبحث الثالث: شبهات في باب القدر

أولًا: تمهيد:

وقع الانحراف في باب القدر عند طوائف عدة، فمنهم من غلا في إثبات القدر حتى أسقط المسؤولية عن العبد (وهم الجبرية)، ومنهم من أنكر علم الله السابق ومشيئته (وهم القدرية)، وأهل السنة وسط بين هؤلاء، يثبتون مراتب القدر كلها مع إثبات فعل العبد واختياره.

ضلّ في باب القدر فريقان، وهما:

الفرقة الأولى القدرية: الذين زعموا: أنّ العبد يخلق فعل نفسه، وأن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها.

الفرقة الثانية الجبرية: الذين قالوا: إن العبد مجبور على أفعاله لا اختيار له.

وكلا الطائفتين انحرفتا عن الصراط المستقيم، والحق وسط بينهما: إثبات قضاء الله وقدره، مع إقرار العبد بقدرة واختيار يباشر بها عمله.

أولًا: الرد عليهم من القرآن:

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

وجه الدلالة: الآية نص قاطع أن جميع المخلوقات –ومن ضمنها أفعال العباد – مخلوقة بقدر الله، وهذا يهدم قول القدرية القائلين بأن العبد يخلق فعل نفسه.

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢].

وجه الدلالة: دلّت الآية على أن الخلق والتقدير شامل لكل شيء، فلا يخرج عن مشيئته فعل ولا حركة، وفيها رد على القدرية الذين يزعمون استقلال العبد بأفعاله.

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

وجه الدلالة: أثبت الله علمه المحيط بكل جزئية، صغيرها وكبيرها، وهو مكتوب عنده في كتاب مبين، وهذا رد على من أنكر العلم السابق لله بالأفعال قبل وقوعها.

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وجه الدلالة: بيّن الله حُجّة المشركين الفاسدة حين احتجّوا بالقدر على المعاصي، وردّها عليهم، مما يدل على بطلان مذهب الجبرية القائل بأن العبد مجبور لا اختيار له.

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ [الحديد: ٢٢].

وجه الدلالة: هذه الآية تثبت سبق الكتابة والتقدير لكل ما يقع في الأرض أو في الأنفس، وهذا يبطل شبهات القدرية المنكرين للكتابة السابقة.

ثانيًا: الرد عليهم من السنة:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»(١)

وجه الدلالة :الحديث نص على سبق الكتابة للأقدار كلها، فلا يصح قول القدرية بأن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٢).

وجه الدلالة: أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالحرص على النافع والاستعانة بالله، وهذا يثبت للعبد قدرة واختيارًا، وهو رد على الجبرية.

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ فِي جَنَازَةٍ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ» ثُمَّ قَرَأَ: { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦} [الليل: ٦] إِلَى قَوْلِهِ { فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠}

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٦٥٣).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٦٦٤).

[الليل: ١٠] (١).

وجه الدلالة: الحديث دليل على سبق علم الله وكتابته لمصير كل عبد، ومع ذلك أمرهم بالعمل، فدلّ على الجمع بين القدر ومسؤولية العبد.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»(٢)

وجه الدلالة: الحديث يثبت أن مقادير العبد مكتوبة وهو جنين، ومع ذلك يباشر عمله باختياره، ردًّا على شبهتي القدرية والجبرية معًا.

الخلاصة: انحرفت القدرية والجبرية في باب القدر؛ فالأوائل نفوا علم الله السابق وخلقه لأفعال العباد، والآخرون سلبوا العبد اختياره، والحق ما عليه أهل السنة: أن أفعال العباد مخلوقة لله، والعبد فاعل لها حقيقة بقدرة جعلها الله فيه،

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٩٤٩) مسلم، برقم: (٢٦٤٧).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٣٢٠٨)، ومسلم، برقم: (٢٦٤٣).

فيُثاب ويعاقب على عمله، والقدر سرّ الله الذي لا يجوز الاعتراض عليه.

شبهة الجبرية:

قالوا: العبد مجبور على فعله لا اختيار له.

والجواب عنها: قال الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، فإثبات مشيئة للعبد تابعة لمشيئة الله.

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦﴾ [الليل:٥- ٦] الآيَةَ(١)، دل الحديث أن العبد مأمور بالعمل مع سبق علم الله.

(١) رواه البخاري، برقم: (٦٦٠٥)، ومسلم، برقم: (٢٦٤٧).

شبهة من نفى خلق أفعال العباد:

قالوا: العبد يخلق فعله بنفسه.

والجواب عنها: قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]، فالآية صريحة بأن الله خالق العبد وعمله.

وعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ»(١)، وهذا نصٌّ في أن الله خالق العباد وخالق أعمالهم.

شبهة من قال: لا فائدة من العمل ما دام القدر قد سبق:

والجواب عنها: قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. فالجزاء مرتب على العمل.

وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ الله بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «لَا بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ»، قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ فَسَأَلْتُ: مَا قَالَ؟

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة، برقم: (٣٥٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ١٨١).

فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»(١)، فدل الحديث على أن العمل سبب للوصول إلى ما قُدر للعبد.

ثالثا: ثمرات الإيمان الصحيح بالقدر:

- طمأنينة القلب لعلم الله وحكمته.
- الرضا بالقضاء والصبر على البلاء.
- ترك الاعتراض على الله.
- الجد في العمل مع الاعتماد على الله.
- النجاة من بدع القدرية والجبرية.

خامسًا: الخلاصة: الإيمان بالقدر ركن عظيم من أركان الإيمان، وأهل السنة يثبتون مراتبه كلها: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، مع إثبات فعل العبد واختياره، وسطًا بين القدرية والجبرية.



(١) رواه مسلم، برقم: (٢٦٤٨).

الباب الحادي عشر: التحذير من الفرق المخالفة

هذا الباب من أبواب العقيدة العظيمة، إذ يتعلق بموقف أهل السنة والجماعة من الفرق المنحرفة التي فارقت سبيل المؤمنين في أبواب الأسماء والصفات والإيمان والقدر وغير ذلك، والتحذير منها أصل من أصول الدين؛ لأن الانحراف العقدي كان سببًا في تمزق الأمة وظهور البدع والضلالات، وقد ظهرت عبر التاريخ فرق متعددة، كل فرقة انحرفت بقدر ما تركت من الوحي، فمنهم من غلا وكفّر المسلمين، ومنهم من عطّل النصوص أو أوّلها، ومنهم من ابتدع طرقًا ما أنزل الله بها من سلطان، فكان بيان باطلهم والتحذير من مسالكهم واجبًا شرعيًا، ويشتمل هذا الباب على تسعة مباحث:

المبحث الأول: الخوارج.

المبحث الثاني: الجهمية.

المبحث الثالث: المعتزلة.

المبحث الرابع: الأشاعرة.

المبحث الخامس: الصوفية.

المبحث السادس: المرجئة.

المبحث السابع: الشيعة الإمامية (الرافضة).

المبحث الثامن: القدرية.

المبحث التاسع: الجبرية.

المبحث الأول: الخوارج

أولًا: التعريف:

الخوارج: فرقة ضالة خرجت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد التحكيم في صفين، وكفّروا بالذنوب، ورأوا السيف على الأمة، واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم، وسمّوا بالخوارج لخروجهم على جماعة المسلمين وإمامهم.

ثانيًا: نشأتهم وأصل بدعتهم:

أصل خروجهم كان في القرن الأول الهجري، حينما أنكروا التحكيم بين علي ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقالوا كلمتهم المشهورة: **لا حكم إلا لله**، فرد عليهم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقوله: **كلمة حق أريد بها باطل**، فمنذ ذلك الحين عُرفوا بالغلو في التكفير واستحلال الدماء.

ثالثًا: أبرز ضلالاتهم:

- **تكفير المسلمين بالذنوب**: فمن ارتكب كبيرة عندهم فهو كافر مخلد في النار.
- **استحلال دماء المسلمين** وقتالهم.
- **الخروج على الأئمة** وعدم السمع والطاعة لولاة الأمر.
- **تأويل النصوص بغير حق**، وأخذها بظواهرها دون الرجوع لفهم الصحابة.

وقد تقدم في ثنايا الكتاب الرد على بعض عقائدهم.

الخلاصة: الخوارج أول فرقة خرجت على جماعة المسلمين، وبدعتهم أصل لكل غلو وتكفير ظهر بعدهم، ومنهج أهل السنة والجماعة وسط بين إفراطهم

وتفريط المرجئة، فيثبتون الإيمان بالعمل، ولا يكفّرون بمجرد المعصية.

المبحث الثاني: الجهمية

أولًا: التعريف:

الجهمية: فرقة ضالة تنتسب إلى الجهم بن صفوان الراسبي الترمذي (ت ١٢٨هـ)، وقد اشتهرت بالقول بنفي أسماء الله وصفاته، والقول بالجبر في أفعال العباد، وإنكار رؤية الله في الآخرة.

ثانيًا: نشأتهم وأصل بدعتهم:

مؤسسها الجهم بن صفوان الذي أخذ مقالاته عن الجعد بن درهم (ت ١٢٤هـ)؛ حيث قال بإنكار أن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، أو كلم موسى تكليمًا، فقتله خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى بالكوفة، وقال: **أيها الناس ضحّوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا**، ثم ذبحه، وانتشرت مقالات الجهم بعد ذلك في خراسان والعراق.

ثالثًا: أبرز ضلالاتهم:

- **نفي الأسماء والصفات** عن الله، وتعطيل النصوص.
- **القول بخلق القرآن.**
- **إنكار رؤية الله في الآخرة.**
- **القول بالجبر:** أن العبد مجبور على فعله.
- **القول بفناء الجنة والنار.**

وقد سبق في أثناء الكتاب الرد على بعض هذه الانحرافات عند الحديث عن

الأسماء والصفات، والقدر، والإيمان.

الخلاصة: الجهمية من أضل الفرق التي واجهها أهل السنة، وبسببها وقعت فتن عظيمة، كفتنة القول بخلق القرآن، ورد عليهم السلف بقوة، وبينوا ضلالهم، وأهل السنة وسط بين إفراط الجهمية في التعطيل، وبين غلو المشبهة في التمثيل.

المبحث الثالث: المعتزلة

أولًا: التعريف:

المعتزلة: فرقة كلامية ضالة ظهرت في أوائل القرن الثاني الهجري، تنسب إلى واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ) الذي اعتزل حلقة الحسن البصري بالبصرة، فقال فيه الحسن: اعتزلنا واصل، فسموا بالمعتزلة.

ثانيًا: نشأتهم وأصل بدعتهم:

ظهرت بالبصرة حين قال واصل بن عطاء: مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم تطورت أفكارهم حتى وضعوا أصولهم الخمسة المشهورة: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومعنى أصولهم الخمسة ما يلي:

التوحيد: معناه: نفي الصفات.

والعدل: إنكار القدر وإثبات استقلال العبد بفعله.

والمنزلة بين المنزلتين: معناه: أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنًا ولا كافرًا، بل في منزلة ثالثة مبتدَعة، وفي الآخرة يُخلَّد في النار كالكفار

والوعد والوعيد: أصل الوعد والوعيد عند المعتزلة: أن الله يجب عليه إنفاذ وعيده في أهل الكبائر، كما يجب عليه إنفاذ وعده لأهل الطاعة، فلا يجوز عندهم أن يغفر لمن استحق العقوبة، وهو قول باطل يخالف النصوص الدالة على أن أمر

العصاة إلى مشيئة الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: معناه: الخروج على الأئمة.

فهم يثبتون أسماء الله، وينكرون الصفات، ويعتمدون على العقل في تقديمه على النص عند التعارض بزعمهم، ولهذا كان أصل انحرافهم التعطيل والاعتماد على العقل المجرد، وقد ذمهم السلف وبيّنوا فساد مذهبهم.

ثالثًا: أبرز ضلالاتهم:

- نفي الصفات بزعم تنزيه الله.
- القول بخلق القرآن.
- إنكار رؤية الله في الآخرة.
- أن مرتكب الكبيرة في الدنيا ليس مؤمنًا ولا كافرًا، بل في منزلة بين المنزلتين، وأما في الآخرة فهو مخلَّد في النار مع الكفار، وإن لم يطلقوا عليه اسم الكفر في الدنيا.
- تقديم العقل على النقل عند التعارض بزعمهم.

وقد تقدّم في أبواب الكتاب الرد على كثير من أصولهم عند الكلام على الصفات، والقدر، والإيمان.

الخلاصة: المعتزلة من أوسع الفرق انتشارًا في التاريخ الإسلامي، وأثرهم باقٍ إلى اليوم في كثير من الفرق، ومنهجهم قائم على تقديم العقل على النقل، وأهل السنة والجماعة وسط بين تعطيل المعتزلة وغلو المشبهة، يثبتون ما أثبته الله لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل، ويثبتون النصوص مقدمة على الأهواء والعقول.

المبحث الرابع: الأشاعرة

أولًا: التعريف:

الأشاعرة(١): فرقة كلامية تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، ظهرت في أواخر القرن الثالث الهجري، وتبنّت منهجًا وسطًا -بزعمهم- بين المعتزلة وأهل السنة، لكنها في الحقيقة أقرب إلى المعتزلة في باب الصفات، مع مخالفتهم لأهل السنة والجماعة في أصول عديدة.

ثانيًا: نشأتهم وأصل بدعتهم:

أبو الحسن الأشعري نشأ معتزليًا أربعين سنة، ثم ترك الاعتزال وانتقل إلى

---

(١) تنبيه:

الكلابية: أتباع عبد الله بن سعيد بن كُلاب (ت ٢٤٠هـ)، وهم طائفة ظهرت قبل الأشاعرة، وقد تأثر بهم أبو الحسن الأشعري بعد خروجه من الاعتزال، فاستفاد منهم وأخذ عنهم بعض المسائل، ومن أبرزها القول بالكلام النفسي، ثم تطوّر هذا المسلك على يد الأشاعرة من بعده.

الماتريدية: أتباع أبي منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، وافقوا الأشاعرة في كثير من الأصول الكلامية، وخالفوهم في بعض المسائل كالإيمان والقدر، إلا أن الجميع يرجع في النهاية إلى المدرسة الأشعرية من حيث الأصل في طريقة إثبات العقائد بالعقل وتقديمه على النص عند التعارض.

مذهب ابن كُلاب (الصفاتية) فصار يثبت بعض الصفات العقلية ويؤول غيرها، وهذه المرحلة هي التي انتشرت على يد تلاميذه وصاروا يُعرفون بالأشاعرة، ثم تاب الأشعري في آخر عمره ورجع إلى مذهب السلف، مقرِّرًا في كتبه الأخيرة – كالإبانة – عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، مثبتًا لها بلا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل.

ثالثًا: أبرز ضلالاتهم:

- **إثبات الأسماء** وبعض الصفات، أو إثبات سبع صفات فقط (الحياة، العلم، القدرة، الإرادة، السمع، البصر، الكلام) (١).
- **تأويل نصوص الصفات** كالاستواء واليدين والنزول.

---

(١) حتى في هذه السبع التي أثبتوها لم يسلكوا منهج السلف:

ففي **الكلام**: قالوا: كلام الله معنى قائم بالنفس، لا يتكلم بحرف ولا صوت!

وفي **الإرادة**: جعلوها واحدة أزلية لا تتجدد، فلا يريد أشياء بعد أشياء.

وفي **السمع والبصر**: قالوا: هما بلا تعلق حادث بالمسموعات والمبصرات.

أما السلف، فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، بلا تعطيل ولا تأويل ولا تمثيل، فجعلوا الأسماء والصفات جميعًا حقًا على ظاهرها اللائق بجلال الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

فالخلاصة: هؤلاء وقعوا بين التعطيل والتحريف؛ أثبتوا بعضًا وعطّلوا كثيرًا، وحتى ما أثبتوه لم يثبتوه على طريقة السلف، بل على طريقة المتكلمين المبنية على عقولهم.

• **القول بالكسب** في أفعال العباد: وهو إثبات صوري للقدرة مع إنكار أثرها الحقيقي(١).

• **تقديم العقل على ظاهر النص** عند التعارض.

• **مخالفة السلف في باب الإيمان**؛ إذ جعلوه التصديق القلبي فقط.

---

(١) **القول بالكسب عند الأشاعرة:** يرون أن أفعال العباد مخلوقة لله وحده، وليس للعبد تأثير حقيقي فيها، وإنما للعبد كسب فقط، أي: موافقة الفعل الذي خلقه الله فيه، وبهذا نفوا قدرة العبد الحقيقية على أفعاله، وجعلوا حركته كحركة الورقة في مهب الريح.

الرد عليهم:

مخالف للقرآن: قال تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾ [التوبة: ٨٢]، فأثبت للعبد عملًا حقيقيًا، وجعل الجزاء مترتبًا عليه.

مخالف للسنة: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». رواه مسلم (٢٦٦٤)، وفيه إثبات لقدرة العبد وسعيه.

موقف السلف: أهل السنة وسط: يثبتون أن الله خالق أفعال العباد ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]، وأن للعبد قدرة ومشيئة تابعة لمشيئة الله ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

وقد بُيّن في أبواب هذا الكتاب الرد على هذه الانحرافات، خاصة في باب الأسماء والصفات، وباب الإيمان.

الخلاصة: الأشاعرة مبتدعة ولكنهم أهون من المعتزلة والجهمية، وقد خالفوا منهج السلف في أصول عظيمة، وعلى رأسها باب الأسماء والصفات، وأهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبته الله لنفسه بلا تحريف ولا تعطيل، ويردون تأويلات المتكلمين، فالحق في اتباع سبيل المؤمنين الأولين.

المبحث الخامس: الصوفية

أولًا: التعريف:

الصوفية: طائفة ظهرت في أواخر القرن الثاني الهجري، انتسبت إلى الزهد في الظاهر، لكنها مع مرور الزمن انحرفت إلى طرق مبتدَعة في العبادة، وغلت في الأوراد والأذكار، حتى انتهى الحال ببعضها إلى الحلول([١])، والاتحاد([٢])، ووحدة الوجود([٣]).

ثانيًا: نشأتهم وأصل بدعتهم:

في بداياتهم كانوا زهادًا متأثرين برهبانية النصارى، ثم تطورت طرقهم إلى تأسيس الطرق الصوفية في القرون المتأخرة، مع شيوخ يُطاعون طاعة عمياء، وأذكار وأوراد مبتدعة، ومن أئمتهم المتأخرين من وقع في عقائد خطيرة كالحلول

---

(١) الحلول: اعتقاد أن الله تعالى يحل في المخلوقات، أو في بعض الأشخاص، (كالأولياء، أو الصالحين بزعمهم)، وهذا كفر صريح؛ لأنه يجعل الخالق متحدًا بالمخلوق.

(٢) الاتحاد: هو القول باتحاد الخالق بالمخلوق، حتى يصيرا شيئًا واحدًا، وهو أيضًا كفر وضلال مبين، إذ يزيل الفارق بين الرب والعبد.

(٣) وحدة الوجود: أخطر أقوالهم، وهي عقيدة ابن عربي ومن تبعه، ومعناها: أن الوجود كله واحد، وأن الخالق والمخلوق شيء واحد، فلا فرق عندهم بين الله والكون، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

والاتحاد، مثل الحلاج(١) وابن عربي(٢).

ثالثًا: أبرز ضلالاتهم:

- **ابتداع طرق في الذكر والعبادة** لم ترد في الكتاب ولا السنة.
- **الغلو في الأولياء** حتى رفعوهم فوق مقام النبوة أحيانًا.
- **القول بالحلول والاتحاد** عند بعضهم، بل وبوحدة الوجود.
- **الاعتماد على الكشف والذوق** والإلهام في مقابل النصوص.
- **إحداث طرق وجماعات** لها أوراد خاصة وشيوخ يُبايعون.

وقد تقدم في ثنايا هذا الكتاب الرد على وسائل الشرك والبدع، وهو مما يشمل انحرافات كثير من طرق الصوفية.

---

(١) **الحلاج**: هو الحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩هـ)، من غلاة الصوفية، قال بعقيدة الحلول والاتحاد، وأظهر أقوالًا كفرية مشهورة مثل قوله: أنا الحق، أقيم عليه الحد وقُتل في بغداد بعد أن أجمع العلماء على كفره وضلاله.

(٢) **ابن عربي**: هو محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الحاتمي (ت ٦٣٨هـ)، من متأخري الصوفية، اشتهر بكتاب فصوص الحكم، والفتوحات المكية، وهو من أبرز القائلين بوحدة الوجود، حتى عُدّ من أئمة هذه المقالة الباطلة.

تنبيه: فرق بين ابن عربي الطائي الفيلسوف الصوفي (المنكر) القائل بوحدة الوجود المتقدم، وبين ابن العربي المعافري المالكي (بالتعريف) الفقيه المالكي المحدث، صاحب كتاب أحكام القرآن، والعواصم من القواصم، وهو من أهل السنة، فالخلط بينهما خطأ فاحش.

الخلاصة: الصوفية في أصولها الأولى بدأت بالزهد المشروع، لكن ما لبثت أن انحرفت إلى بدع عظيمة وشركيات ظاهرة، وأهل السنة والجماعة على الجادة الواضحة: عبادة الله بما شرع، والوقوف عند النصوص، وترك البدع والأهواء.

المبحث السادس: المرجئة

أولًا: التعريف:

المرجئة: فرقة تقول: إن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب، وعند بعضهم القول باللسان، ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان، وسمّوا بالمرجئة لأنهم أرجؤوا العمل، أي: أخّروه عن الإيمان.

ثانيًا: نشأتهم وأصل بدعتهم:

ظهرت المرجئة في أوائل القرن الثاني الهجري، نشأت كرد فعل لغلو الخوارج، وأول من أظهر بدعتهم هو **حماد بن أبي سليمان الكوفي** (ت ١٢٠هـ)، وهو شيخ الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولهذا يُقال: **أول من تكلم بالإرجاء حماد بن أبي سليمان،** ثم انتشرت المقالة في الكوفة وغيرها، وتفرعت المرجئة بعد ذلك إلى طوائف ودرجات، من الغلاة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، إلى من كان إرجاؤه أخف.

ثالثًا: أبرز ضلالاتهم:

- **حصر الإيمان في مجرد المعرفة القلبية** أو التصديق.
- **القول بأن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان**، ولا يضر مع الإيمان معصية.
- **جعل الإسلام والإيمان شيئًا واحدًا** بلا تفريق.

الخلاصة: منهج المرجئة ضد غلو الخوارج، لكنه انحراف آخر؛ إذ أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وأهل السنة وسط بينهما: يرون أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

المبحث السابع: الشيعة الإمامية (الرافضة)

أولًا: التعريف:

الشيعة الإمامية الاثنا عشرية: فرقة غلت في آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، واعتقدت العصمة للأئمة، وادعت النص عليهم بالإمامة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ثانيًا: نشأتهم وأصل بدعتهم:

أصل نشأتهم في القرن الأول الهجري، وأول من أظهر بذرة التشيع هو عبد الله بن سبأ اليهودي الذي ادعى الإسلام في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأظهر الغلو في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم تفرعت أفكاره وانتشرت بعد الفتنة الكبرى، ثم تطور أمرهم عبر القرون حتى تشكّلت فرقة الإمامية الاثني عشرية التي استقر مذهبها على القول بإمامة اثني عشر إمامًا معصومًا بزعمهم.

ثالثًا: أبرز ضلالاتهم:

- **الطعن في الصحابة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، خاصة الخلفاء الراشدين.
- **القول بعصمة الأئمة** ووجوب طاعتهم كطاعة النبي.
- **الغلو في القبور والمشاهد**، حتى وصل إلى الاستغاثة بالأموات.
- **القول بتحريف القرآن** عند طوائف منهم.

الخلاصة: الرافضة من أبعد الفرق عن الإسلام، فليسوا بمسلمين، وضلالهم بيّن في الطعن في خيار هذه الأمة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والغلو في آل البيت حتى رفعوهم إلى مقام العصمة والربوبية، والوقوع في الشرك الأكبر بالاستغاثة

بالأموات ودعائهم من دون الله، مع بدع شنيعة ومعتقدات فاسدة تخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وأهل السنة وسطٌ عدل: يحبون آل البيت بلا غلو، ويحبون الصحابة جميعًا ويترضون عنهم، ويقتفون أثرهم في الدين.

المبحث الثامن: القدرية

أولًا: التعريف:

القدرية: هم نفاة القدر، الذين قالوا: إن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وقوعها، وأن أفعال العباد لم يخلقها الله.

ثانيًا: نشأتهم وأصل بدعتهم:

أول من أظهر قولهم معبد الجهني (ت٨٠هـ)، وغيلان الدمشقي (ت١٠٥هـ). وكذّبهم الصحابة، وأجمعوا على ضلالهم.

ثالثًا: أبرز ضلالاتهم:

- إنكار علم الله السابق.
- نفي عموم مشيئة الله.
- جعل العبد يخلق فعله استقلالًا.

الخلاصة: القدرية أول من أنكر القدر، وهم مجوس هذه الأمة كما وصفهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، وأهل السنة يثبتون القدر بجميع مراتبه مع إثبات مسؤولية العبد واختياره.

المبحث التاسع: الجبرية

أولًا: التعريف:

الجبرية: فرقة تقول: إن العبد مجبور على فعله، لا اختيار له ولا قدرة، وإنما هو كالريشة في مهب الريح، أو كالخشبة على وجه الماء.

ثانيًا: نشأتهم وأصل بدعتهم:

ظهرت مقالتهم في أواخر القرن الأول الهجري، كرد فعل على القدرية النفاة الذين أنكروا القدر، فأفرطوا في الجهة الأخرى، وقالوا: ليس للعبد فعل أصلًا، وإنما هو مجبور على أعماله، وينسب أصل القول إلى الجعد بن درهم (ت ١١٨هـ)، ثم تلميذه الجهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ).

ثالثًا: أبرز ضلالاتهم:

- **نفي فعل العبد**، وزعمهم أن العبد لا اختيار له.
- **إنكار مسؤولية الإنسان عن عمله**، إذ يرون أن الثواب والعقاب يجري على شيء لا اختيار له فيه.
- **نسبة الظلم إلى الله عَزَّوَجَلَّ**، تعالى الله عما يقولون.

الخلاصة: الجبرية ضلوا كما ضلت القدرية، فهؤلاء غلوا في إثبات مشيئة العبد حتى نفوا مشيئة الله، وأولئك غلوا في إثبات مشيئة الله حتى نفوا فعل العبد، وأهل السنة والجماعة وسط بين الفريقين: يثبتون للعبد مشيئة وقدرة وفعلًا حقيقيًا، لكنها تحت مشيئة الله وقضائه وقدره، فلا يقع شيء إلا بعلمه ومشيئته.

ملخص عقيدتنا : عقيدة أهل السنة والجماعة

عقيدتنا عقيدةُ أهل السنة والجماعة، عقيدةٌ صافية من فضل الله مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وهي تقوم على أصول جليلة، نُجملها فيما يلي:

• نؤمن بالله تعالى ربًّا وإلهًا واحدًا لا شريك له، له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، نثبت له ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

• نؤمن برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة عيانًا، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة المتواترة، من غير إحاطة ولا تكييف، وهي أعظم نعيم الجنة.

• نؤمن بملائكته الكرام، خلقهم الله لعبادته وتنفيذ أمره، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

• نؤمن بكتبه المنزلة، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، أنزله هدى ونورًا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

• نؤمن برسله أجمعين، وأشرفهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء، المرسل إلى الناس كافة، لا نُفرّق بين أحد من رسله، ونوقن بوجوب طاعته واتباعه.

• نؤمن باليوم الآخر وما فيه من الفتن والشدائد: فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والنفخ في الصور، وأهوال البعث والنشور، والميزان والصراط، والحوض

المورود، والشفاعة الثابتة بأنواعها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولغيره بإذن الله، والجنة والنار، وأنها داران لا ثالث لهما.

- نؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومرّه من الله تعالى، علم الله به سابق، وكتبه في اللوح المحفوظ، وشاءه وخلقه، لا يكون شيء إلا بإذنه.
- نعتقد أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.
- نعتقد وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين في المعروف، وتحريم الخروج عليهم بالسيف ما أقاموا الصلاة، وننصح لهم بالحق، ولا نرى الفُرقة بل نتمسك بالجماعة.
- نعتقد محبة أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتوقيرهم، والكف عما شجر بينهم، والإمساك عن سبّهم، وأنهم خير القرون.
- نعتقد أن الفرقة الناجية هي ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، لا تزال منصورة إلى قيام الساعة.

الخلاصة: هذه عقيدتنا، عقيدةٌ وسط بين الغالي والجافي، وبين المعطل والممثلة، هي عقيدة الإسلام التي بعث الله بها رسله، وجعلها أمانًا لأهلها في الدنيا والآخرة، من تمسك بها نجا، ومن أعرض عنها هلك، نسأل الله الثبات عليها حتى نلقاه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تزداد الحسنات، وبتوفيقه قامت هذه الكلمات.

فهذا جهد متواضع في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، عقيدة الفرقة الناجية المنصورة، التي لا تزال على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

وقد سلكت فيه -فيما استطعت- سبيل السلف الصالح، من الاعتصام بالكتاب والسنة، وترك طرق المتكلمين وأهل الأهواء، فلم أُدخل في هذا المختصر أقوال المتفلسفة ولا جدل أهل الكلام، ولا زخارف المبتدعة، وإنما اقتصرت على نصوص الوحيين، وما صح عن السلف من التفسير والبيان، مع شيء من الترتيب والتبويب والتقريب، رجاء أن يكون أيسر على القارئ، وأقرب إلى الانتفاع.

ولستُ أدّعي أني أتيت فيه على كل مسائل العقيدة، أو استوعبت كل أبوابها، بل اقتصرت على أهم الأصول الجامعة التي لا يستغني عنها مسلم، وربما أني كررت بعض الأدلة للمناسبة، أو أوجز بعض المسائل اختصارًا، طلبًا لسلامة العرض ووضوح المقصود.

وما أنا إلا ناقل ملخص، أنقل عن علمائنا الكبار وأئمتنا الأخيار، أولئك الذين نذروا حياتهم لخدمة السنة والتوحيد، فنغترف من معينهم، ونقتبس من أنوارهم، ولسنا إلا عيالًا عليهم.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، نافعًا لي ولأولادي ولإخواني المسلمين، وأن يجعله لبنة في بناء الدعوة إلى التوحيد والسنة، وأن يغفر لي ما فيه من خطأ أو تقصير، فإن العصمة للأنبياء، والكمال لله وحده، والحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وكتبها/ أبو المنذر عمار بن عبد الجليل بن هزاع بن غالب الوريفي الحوباني

سيئون-شحوح-حضرموت

يوم ١٨ ربيع الثاني لعام ١٤٤٧ من الهجرة النبوية



قائمة المراجع التي استفدت منها ولخصت هذه العقيدة

أصل الأصول القرآن الكريم -برواية حفص عن عاصم.

صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ).

صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ).

سنن أبي داود، الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ).

سنن الترمذي، الإمام محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ).

سنن النسائي، الإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ).

سنن ابن ماجه، الإمام محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ).

مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).

ثانيًا: كتب العقيدة وأصول الدين

كتاب التوحيد، للإمام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ).

شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٨٥هـ).

فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

الحموية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

شرح العقيدة الطحاوية، للإمام ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ).

الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، للإمام ابن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ).

الاعتصام، للإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ).

شرح السنة، للإمام البغوي (ت ٥١٦هـ).

الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، لشيخنا صالح الفوزان (حفظه الله).

القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ).

القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، للشيخ ابن عثيمين.

معارج القبول بشرح سلم الوصول، للشيخ حافظ الحكمي (ت ١٣٧٧هـ).

ثالثًا: كتب السلف في الرد على الفرق:

الرد على الجهمية، للإمام أحمد بن حنبل.

السنّة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل.

السنّة، للإمام الخلال (ت ٣١١هـ).

الشريعة، للإمام الآجري (ت ٣٦٠هـ).

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام اللالكائي (ت ٤١٨هـ).

رابعًا: كتب عامة في الإيمان والفتن

كتاب الإيمان، لابن منده (ت ٣٩٥هـ).

كتاب الإيمان، لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ).

فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت

٨٥٢هـ).

شرح صحيح مسلم، للإمام النووي (ت ٦٧٦هـ).

رياض الصالحين، للإمام النووي.

السنة النبوية في مواجهة الفتن، للشيخ الألباني (ت ١٤٢٠هـ).

فهرس الموضوعات:

صدر حديثًا للمؤلف

